محمود حسن قيصر الأمروهوي



المصادر الهندية للعلوم الإسلامية

ترجمة وتحقيق: الدكتور أورنك زيب الأعظمي

دار الفكر
آفاق معرفة متجددة
www.fikr.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المصادر الهندية
للعلوم الإسلامية

المصادر الهندية للعلوم الإسلامية / محمود حسن قيصر الأمروهوي؛ ترجمة وتحقيق أورنك زيب الأعظمي. - دمشـــق: دار الفكر، ٢٠١٠ .- ١٥٢ ص ؛ ٢٥سم.
ISBN:978-9933-10-116-9
١- ٠٠١,٠٩٥٤ أ م ر م٢- ٠٢٨,٧ أ م ر م
٣- العنوان ٤- الأمروهوي ٥- الأعظمي
مكتبة الأسد

محمود حسن قيصر الأمروهوي

المصادر الهندية للعلوم الإسلامية

ترجمة وتحقيق

الدكتور أورنك زيب الأعظمي

دار الفكر

آفاق معرفة متجدّدة

شباب لعصر المعرفة
2010=1431

دار الفكر - دمشق - برامكة
٣٠٠١ ٩٧ ٩٤٧ ٠٠٩٦٣
٣٠٠١ ١١ ٠٠٩٦٣
Http://www.fikr.com/
e-mail:fikr@fikr.net

المصادر الهندية للعلوم الإسلامية
محمود حسن قيصر الأمروهوي
ترجمة وتحقيق: الدكتور أورنك زيب الأعظمي
الرقم الاصطلاحي: ٢٢٢٣,٠١١
الرقم الدولي: ISBN: 978-9933-10-116-9
التصنيف الموضوعي: ٠١٠ (البيبليوغرافية)
١٥٢ ص، ١٧ × ٢٥ سم
الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م

كلمة المترجم

الحمد لله الذي جعلنا قبائل لنتعارف ونتعاون إذا حال بيننا حائل، والصلاة والسلام على رسولنا محمد ﷺ الذي هو قائل: "تهادوا تحابوا" ولا ينهر فيكم سائل، وعلى آله وصحبه الذين تمكّنوا في البلاد ولو كانوا قلائل. أما بعد:

فقد عرف العرب الهندَ وأهاليها مند زمن سحيق للغاية، واعترفوا بأفضليتها في العلوم والفنون والحكم، ووفرتها وخصوبتها في العقاقير والتوابل، وأسباب الحرب، فقد قال الجاحظ:

"اشتهرت الهند بالحساب وعلم النجوم وأسرار الطب والخرط والنجر والتصاوير والصناعات الكثيرة العجيبة"(١).

وقال ابن خرداذبة:

"إن الهنود يزعمون أن لهم قدرة على فصل ما يحبون عن طريق الرقية والسحر، حتى إنهم يشربون بهما السم كما يزيلون أثره فهم يحلّون ويعقدون عن طريقة الأوهام والعزائم فيضرّون وينفعون ويظهرون حركات عجيبة مزعومة تبهت العاقل وتحيّر اللبيب"(٢).

وقال القاضي صاعد الأندلسي:

"إن الهنود يعرفون أكثر من غيرهم من كافة أمم العالم عن علم الطب

---

(١) رسائل الجاحظ، ص٧٩.

(٢) المسالك والممالك، ص٧١-٧٢.

فهم أبصر من غيرهم بقوى الأدوية وطبائع المولّدات وخواص الموجودات"(١).

وقال المسعودي:

"إن الهند كانت قديم الزمان الغرة التي فيها الصلاح والحكمة"(٢).

وقال الجاحظ عن بهائمها ووحوشها:

"الفيل والببر والطاووس والببغاء والدجاج السندي والكركدن مما خصّ الله به الهند"(٣).

وأما السيف الهندي الذي يعرف بـ (المهنَّد) فهو أشهر من نار على علم.

ونوجز هذا بقول أبي الصلح السندي الذي افتخر بوطنه قائلاً:

لقد أنكر أصحابي وما ذاك بالأمثل
إذا ما مدح الهند وسهم الهند في المقتل
لعمري إنها أرض إذا القطر بها ينزل
يصير الدرّ والياقوت، والدرّ لمن يعطل
فمنها المسك والكافور والعنبر والمندل
ومنها العاج والساج ومنها العود والصندل
وإن التوتيا فيها كمثل الجبل الأعدل
ومنها الببر والنمر ومنها الفيل والدغفل
ومنها شجر الرابح والساسم والفلفل
سيوف مالها مثل، قد استغنت عن الصيقل
وأرماح إذا اهتزت، اهتز بها الجحفل
وهل ينكر هذا الفضل إلا الرجل الأخطل(٤)

---

(١) طبقات الأمم، ص١٢.
(٢) تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، ص١٣٠.
(٣) الحيوان ٧/ ١٢٠.
(٤) الحيوان (ذكر الفيل).

وبناءً على هذه الأشياء المهمة القيمة، التفت إليها العرب حاملين سلعها وناقلين علومها وفنونها. وممن اشتهر في هذا المجال، بغض النظر عن التجار، محمد بن إبراهيم الفزاري، ويعقوب بن طارق، ومحمد بن موسى الخوارزمي، ومحمد بن إسحاق السرخسي، ومحمد بن إسماعيل التنوخي، وعبد الله بن المقفع، والمسعودي، وابن حوقل البغدادي، وأبو الريحان البيروني، واليعقوبي، والقاضي صاعد الأندلسي، والإصطخري، والأصبهاني، وابن قتيبة، وابن عبد ربه، ومحمد بن الوليد الطرطوشي، والشريف الإدريسي، وزكريا القزويني، وشهاب الدين النويري، وغيرهم كثير.

ولم تنقطع هذه السلسلة المباركة في القرن العشرين، فالدكتور أحمد أمين المصري ممن رغب في هذا المجال رغبة شديدة، وكذلك الشعراء؛ مثل أحمد مخيمر وعبد الله فنون ووديع البستاني وعمر أبو ريشة، قد أظهروا رغبتهم الزائدة في الهند وعلومها ومعالمها فيقول الشاعر الأخير عن معبد كاجوراو (Khajurahav):

يا هيكلاً نشر الفنون   ورنح الدنيا افتتان
وثب الخيال إلى لقاك   ورد وثبته العيان
تكلمت أحجارك الصماء   مشرقة البيان
كاجوراو، هل من حرمة   لك عند رأيها تصان
كم زائر أدمى فؤادك   ما أسرّ، وما أبان
أخفى الرضا، وتظاهرت   بالسخط، عيناه اللتان
كاجوراو، عفوك ليس لي   مني على حلمي ائتمان
أولى فأولى أن تموت   طيوفه، خلف الجفان[1]

ويقول عن آغره (Agra) التي يقع بها تاج محل:

ملاك الموت طاف بي الأعالي   دمشق بها غياهب كل فيه

---

(١) المختارات، ص٢٣-٢٤.

وأبرز لي النجوم وكل نجم يتيه بما لديه على أخيه
وأنت طويت عمرك في التغني بفردوس الجمال وساكنيه
فأين تريد أن تحيا بعيداً عن القلق المرير وعن بنيه
ولاح إليّ نجم من بعيد تملت من موكب راصديه
توشح بالغيوب فكان بدعاً يتيم الندّ منفرد الشبيه
نقلت هناك قال بكل رفق هو النجم الذي قدمت فيه[١]

ونظراً لهذه الأهمية الكبرى التي تنالها الهند وأهاليها لدى العرب قام السيد محمود حسن قيصر الأمروهوي (Amrohavi) بتأليف رسالة موجزة قيمة؛ بحث فيها عن كل العلوم والفنون التي أخذها العرب من الهند وطوّروها خير تطوير. وهي تشمل الطب والبيطرة، والرياضيات والجبر، والهيئة والنجوم، والمواليد، والكيمياء، والسحر والزجر، والسياسة والحرب، والشطرنج والنرد، بجانب الآداب والقصص و الحكم الهندية التي كان العرب مولعين بها.

إن هذا بحث مقنع حافل بالمعلومات النادرة عن الموضوع. لقد قدّم المؤلف بهذا السفر الوجيز ما يعجز عنه الكتّاب بمؤلفات ضخمة وكتب مسهبة، ولذلك فقد أثنى عليه العلماء وأمطروا شآبيب المدح عليه. نكتفي بقول السيد عابد عباس النقوي الذي قال عن الكاتب وما كتب:

"إن السيد قيصر الأمروهوي عالم ومؤرخ كبير بجانب براعته في الأدب. رغب في العلم والتحقيق منذ صغره. أنفق معظم حياته في تصفح الكتب وقراءة الرسائل. قد نظر سيدي في الدنيا بكل دقة وعمق فهو لا يقدم خطوة ولا يؤخر أخرى دون بحث وتحقيق، سواء كانت قضية العقيدة أو قضية العمل بها. إن عمله يكون بدعة في مجال التحرير والتأليف، لأنه لا يقول بالتقليد ولا يرضى باتباع أحد دون تحقيق. إن هذا

(١) مجلة صوت الشرق، ص١٧، العدد: ٣٥٥، ١٩٣٣م.

الكتاب بحث بديع عن جهة موضوعه كما هو يتيم الندّ عن جهة محتوياته. إنه يسلّط الضوء على سبق الإسلام والمسلمين في مجال العلوم، كما يقدّم لمحات عن غنى الهند القديمة فيها. وعلاوة على هذا فهو يذكر تبادل الثقافة الهندية والإسلامية، وسباق الأمراء والحكام في جمع ما تشتّت من العلوم والفنون، إلى جانب هجرة عامة الحكماء والعلماء إلى البلاد الأخرى لهذا الأمر المهم. إن هذا كله يدعو العالمين إلى الوحدة والتلاحم. إني لأرجو أن هذا الكتاب بمحتوياته سيثبت خير وسيلة لهداية الباحثين إلى جهة علمية جديدة"[١].

ونظراً لأهمية الكتاب هذه، ولاحتفاله بهذا القدر من المعلومات القيمة النادرة، قمت بترجمته إلى اللغة العربية؛ لكي يستفيد منه القرّاء العرب. ويثبت هو دفعه لرجال البحث والتحقيق إلى الأمام، لتقديم مزيد من البحوث والتحقيقات في هذا المجال الشريف، المجال الذي يوصل الجديد بالقديم ويخلق جوّاً من الوحدة والتلاحم بين الناس.

وعلاوة على ترجمة الكتاب السلسة قمت بمراجعة النظر في المقتبسات ودعمها بالمزيد منها وإعداد الفهارس الفنية التي تسهل بها الاستفاضة. وكذلك ألحقت بها توطئة كتبها الشيخ عبد المجيد الندوي عميد مدرسة الإصلاح سابقاً.

وفي الأخير لا أنسى الشكر لأستاذي المفتي محمد شعيب الإصلاحي القاسمي عميد مدرسة الإصلاح بسراي مير (Saraimir)، أعظم كره (Azamgarh)، الذي فتح لي أبواب المكتبة المركزية في عطلة شهر رمضان التي تبقى فيها المدرسة مغلقة، وللشيخ ضياء الدين الإصلاحي

---

(١) المصادر الهندية للعلوم الإسلامية (الأصل الأردوي).

مدير دار المصنفين بأعظم كره الذي أعانني في مراجعة المصادر والمراجع.

أدعو الله أن يتقبل هذه البضاعة المزجاة ويجعلها ذخراً لي في الآخرة، وهزة للباحثين في هذا المجال وسبباً لوحدة الأمم والأقوام وهو الموفق وعليه التكلان.

كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٨م

أورنك زيب الأعظمي

تقديم

إن كتاب (المصادر الهندية للعلوم الإسلامية) للسيد محمود حسن قيصر الأمروهوي معجزة؛ فقد بيّن السيد محمود في صفحات قلائل ما يعجز عنه الكتّاب في مجلدات طوال. نقدّر من دراسة هذا السفر الوجيز ما أثرت الهند على العلوم الإسلامية.

عندما كنت طالباً في قسم الدراسات العربية كنت معترفاً بنصيب الهند الأوفر بإفادة الإسلام بالعلوم والفنون فيما بين الأمم والأقوام التي أفادت العرب في هذا المجال. ولكن زادني هذا الكتاب إيماناً ويقيناً، فقد بهتني لمحات سلّطها هذا السفر الوجيز عن الاعتراف بقدر الهند الموزون في هذا الباب. قد استنارت العلوم الإسلامية بحضارة الهند وعلومها المتطوّرة مباشرة ونهلت من مواردها ومناهلها الغنية. فكأن العلاقة الوطيدة التي كانت بين المسلمين والهندوس منذ قرون لم يستطيعوا تطويرها فيما بعد. فيكون اختلاط العلوم المشترك نموذجاً جديراً بالاتباع لمن يريد أن يستفيد من هذه العلوم، فينادي اختلاط الأمم والأقوام المشترك المباشر في العلوم والتقاليد والعادات والأساليب بوحدة البشر في كل مرحلة ومنزلة، فقد صدق الشاعر الفارسي سعدي الشيرازي:

بني آدم اعضاىٔ يكديگراند   كه در آفرينش زيك جوهراند

الترجمة: إن البشر ذوو تعاضد لأنهم من أصل واحد في مولدهم.

هذا بيت من قطعة قالها سعدي، ولا ينكر أحد صدقه، وما يوجّهه المفكرون من توكيد حقوق الإنسان في الربع الأخير من القرن العشرين

الميلادي يشهد بوجود وحدة البشر في زمن قديم. ولكن حينما نبلغ البيت الثاني لتلك القطعة وهو:

چو عضوی بدرد آورد روزگار   دگر عضوها را نه ماند قرار

الترجمة: حينما يصيب الوجع عضواً منها فلا تقعد الأعضاء الأخرى إلا ويصيبها القلق والاضطراب.

نغضب من الجوِّ الراهن، إذ نرى أن عضواً من أعضاء البشر يصيبه الوجع ولا يزعج هذا طمأنينة الأعضاء الأخرى وهدوءها. حدث هذا قديماً ولكن زادت هذه الأعضاء وعياً مفقوداً حتى القرن العشرين الميلادي. فالتوكيد الذي نراه على حقوق البشر مصدره يرجع إلى القانون لا إلى الرحمة والحماية؛ أو بعبارة أخرى يعالج الاضطراب الكائن بدواء القانون.

إن هذا الكتاب يعيد لهندوس الهند ومسلميها خاصة هذا الواقع؛ بأن ما حدث من نزاع وتشدد لاختلافات بينهم، وما زيد فيه عن طريق شواهد التاريخ، هو بدعة برزت إلى حيز الوجود في القرنين الماضيين، إنه يتعلق بالفروع ولا يمتّ إلى الحقائق الجوهرية بصلة. فالسياسة تخترق وتثير فروق اللغات التي قد محتها التراجم، وتجعل محبة العلوم الأجنبية وراء الظهور، وتمحو توحد العلوم واختلاطها فيما بينها، وتبيد التضامن الذي طوَّرته العلوم، وهكذا فقد وجّهت السياسة ضربات اللون والنسل والوطن إلى نوع البشر وأهرقت دماءه وفرقته في أحزاب وطبقات، فقد محا العلم الخلافات في كل عصر ومصر، ووصل الإنسان بأخيه، بنموذجه وبوعيه.

وستقول: إن العلم ليس بمعصوم بهذا القدر، فسل هيروشيما وناغاساكي عن عصمته ورحمته. ماذا حدث؟ ولكنك تلبس العلم التقنية؛ فالعلم أعني به عين العلم أو العلم الخاص، نافع بأسره،

فيرجع إليه فضل رقي الحضارة وتقدّم الإنسانية، وإن رفع أحد من أبنائه الرأس واعتدى وضلّ الطريق، فكيف يعزى الخطأ إلى العلم؟ فليست وظيفة العلم وعادته وشعاره إلا نشر الخير وخدمة الخلق وتأدية الواجبات، دون الحرص على الأجر. فالآلة التي يمتلكها العلم تسمَّى (التحقيق) وهو يعني البحث عن الواقع أو الحقيقة، وهذا هو عادة العلم وشعاره، وإن أردت أن تراه في صورة إنسان فارجع البصر إلى محمود حسن قيصر الذي ينشر العلم برغبة وجدّية واستمرار وثبات، دون مراءاة وضجة وفخر وحرص على الجاه والمال والصيت، فكل أعماله من الكتب والرسائل والمجلات، تقول: إن خالقها صادق فلا تذهب محاولاته هباء.

والأثر الذي تركه (المصادر الهندية للعلوم الإسلامية) في قلب القارئ هو مشي الباحث الهادئ المطمئن، فهو لا يحبّ تنوع الأساليب وكثرة الافتخار والتعالي وثرثرة الكلام والبيان، بل يرغب في بحثه رغبة بحيث لا يميل إلى هذا ولا إلى ذلك. إنه لا يضيع أوقاته الثمينة في تكلّف المقدمة، ولا يحبه ضميره المفطور على البحث والتحقيق. وستقدِّر من جملته الأولى طبيعته وذوقه وأسلوبه العلمي إذ يقول:

"العلوم الإسلامية التي نراها اليوم في صورتها الكاملة إنما هي نتيجة التراث العلمي للأمم العديدة، واختلاط حضارة العرب بحضارات اليونان وإيران والهند. فعلاوة على الإيرانيين والسريانيين أعانهم في ذلك عدد غير قليل من المترجمين النصارى والصابئين والهندوس الذين تم بفضل محاولاتهم الجماعية تدوينُ العلوم والفنون في المسلمين"[1].

وبعد التعريف بالموضوع والمؤلِّف نرجع إلى الكتاب فننقل مقتبسات

---

(١) المصادر الهندية للعلوم الإسلامية، ص٤١.

منه تسلّط الأضواء التامة على العلاقة الودية والعلمية المذكورة أعلاه، وتضع أمامنا لمحات عن مجرّات الماضي.

لما شهد الإسكندر عجائب الهند بهت وتحيّر وأخبر بها أرسطو، فردّ على رسالة تلميذه:

"أما بعد، كتبت إليّ تذكر الذي أعجبك من بنيان بيت الذهب[١] بالهند، وما ذكرت أنك رأيت فيه من العجائب والبنيان الشامخ المزخرف بأنواع الجوهر وما يؤنق العين من الذهب الأحمر، حتى بهر العيون منظره وسار في الأمم ذكره، وقد كتبت إليك أيها الملك أصونك - لمعرفتك بالأمور السابقة العليا والأرضية السفلى - أن يعجبك شيء صنعته الأيدي المنينة بالحكمة في الأيام القصيرة ومدة الزمان اليسيرة، ولكني أرضى لك أيها الملك أن ترفع نظرك إلى ما فوقك وتحتك وعن يمينك وعن شمالك من السماء والصخور والجبال والبحور، وما في ذلك من العجائب الغامضة والمصانع الظاهرة والبنيان الشامخ الذي لا ينحته الحديد ولا يثلمه المجانيق، ولا تعلمه الأجساد المخلخلة الضعيفة في المدة المنقطعة"[٢].

---

(١) يقول عن هذا البيت زكريا بن محمد القزويني:
"بها بيت الذهب؛ قال مسعر بن مهلهل: مشيت إلى بيت الذهب المشهور بها، فإذا هو من ذهب في صحراء، يكون أربعة فراسخ لا يقع عليها الثلج ويثلج ما حولها، وفي هذا البيت ترصد الكواكب، وهو بيت تعظّمه الهند والمجوس، وهذه الصحراء تعرف بصحراء زردشت نبيّ المجوس، ويقول أهل تلك الناحية: متى يخرج منه إنسان يطلب دولة لم يُغْلَبْ ولا يهزم له عسكر حيث أراد. وحكي أن الإسكندر لما فتح تلك البلاد ودخل هذا البيت أعجبه، فكتب إلى أرسطاطاليس وأطنب في وصف قبّة هذا البيت فأجابه أرسطو: إني رأيتك تتعجّب من قبّة عملها الآدميون، وتدع التعجب من هذه القبّة المرفوعة فوقك، وما زينت به من الكواكب وأنوار الليل والنهار". (آثار البلاد وأخبار العباد، ص٩٤-٩٥).

(٢) التنبيه والإشراف، ص٢٠١.

سيشعر القرّاء بأن إرشاد أرسطو تلميذَه طبق تعاليم القرآن الكريم الذي وجهت فيه الدعوة المكررة إلى التفكر في مظاهر الفطرة ومشاهد الطبيعة.

والشيء المهم الذي يتكرر ذكره في هذا الكتاب هو رغبة ملوك البلاد المختلفة الأحرار في العلم، فكأن الملوك تنافسوا في جمع الكتب، ودعوة العلماء إلى بلادهم وإقامة المكتبات وعقد الجلسات حول مختلف المواضيع.

كان في إيران قسم خاص بالطب الهندي، كان يدرّس فيه الأساتذة الهندوس طبَّهم باللغة الفهلوية، ولما جاء العصر العباسي جمع غفيراً من العلماء والحكماء الهندوس في بغداد، فكان ابن دهن الهندي مسؤولاً كبيراً لبيمارستان البرامكة، بجانب كونه مترجماً لكتب السنسكريتية من الهندية القديمة إلى اللغة العربية.

ومن المؤسف للغاية ألا يوجد تاريخ موثوق به لهذه السلسلة الطويلة للتبادل العلمي بين الطب الهندي والطب الإسلامي، وهذا موضوع جدير بأن يكتب عنه الباحثون ويناقشوه في كليات الهند الطبية، ولا سيما الطب اليوناني. لم يلتفت إليه أحدنا حتى الآن. ذكر الكاتب المحترم اعتراف برهمن بتطوّر الطب اليوناني:

"ولو أن اليونانيين نجسون، ولكنهم بلغوا درجة عليا لانتسابهم إلى العلوم، فلو زاد البرهمن طهارته الجنسية علماً ومعرفة لبلغ درجة لا يقدر على بلوغها أحد غيره".

تفكَّر في طبيعة الإنسان، تركيبها وتعقيدها. إن عالماً يرى غيره نجساً غير طاهر، لولم يكن المجتمع الهندي قائماً على طهارة البشر الموروثة ونجسه الموروث!! وهذا واقع لا ينكر أن الإنصاف والعدل لا ينال القبول ولا يتمتع بالدخول في ساحة العصبية.

كشف محمود الأمروهوي عن علاقات الهند العلمية مع اليونان وواقعيتها، فقد ذكر، ناقلاً عن الشهرستاني، أن بعض علماء الهند طلب من الإسكندر أن يبعث حكيماً يونانياً إلى الهند لإجراء المناظرة معه، فأجاب الإسكندر دعوتهم وبعث حكماء بلاده إلى الهند وجرت المناظرات بينهم. كل ذلك مكتوب في رسائل أرسطو. وكذلك لما رجع الإسكندر كتب الحاكم الهندي كند إليه أن يبعث حكماء اليونان إلى البلاد الهندية لعقد الجلسات العلمية مع حكمائها، فأجاب الإسكندر على طلبه أيضاً، وجاء الحكماء وتمت المناظرات بينهم، فقال عنها المسعودي:

"فطال الخطب في المبدأ الأول، وتشاحّ القوم، ونظروا في موضوعات العلماء وترتيبات الفقهاء على غير مراء، وتناهى بهم الكلام إلى غاية كان إليها صدورهم من العلويات"(١).

ولنتفكر هنا: هل المناظرة أو المناقشة الكلامية وسيلة مناسبة لتطور العلم، أم هي شعلة تضرم النار ولا تضيء الآفاق العقلية ولا تنوّر القلوب السليمة؟ ويشهد تاريخ الهند الأخير بما حدث من مناظرات دينية بين المسلمين والنصارى وبين المسلمين والآرية سماجيين (Arya Samajis) في بدء القرن العشرين الميلادي؛ فالمناظرة أو المباحثة الكلامية، عند الذهن الجديد، لا تمدُّ في الوصول إلى الواقع والظفر بالحقيقة، بل تزيد البشر شدة وعناداً، بغضاً وجموداً، فلا يكون فيها الفصل ولا الحكم على القضية، وإن يكن شيء فالنصر والفتح لمن يكون حاضر البديهة، ويعلم عن مساوئ الحزب المعارض. وبالجملة فالمناظرات الدينية تخلق مرارة وانتقاماً، ولا يمتلئ خليج النزاع والخلاف بينهم إلا سعة وعمقاً. وعن هذا الجانب فأسلوب علماء العصر الحديث جميل ومقبول، فيشترك

---

(١) مروج الذهب ١/ ٢٥.

الباحثون في البحوث المنعقدة في مختلف البلاد فتتنور الأذهان فيها وتتسع آفاق الفكر. هذا كله حدث لأجل رقي الإعلام الساحر، ولأجل الشعور بأن العلم ليس بتراث أي بلد وجيل معلوم، بل هو تراث مشترك للبشر، فلا نقدر على قسمته ولا توريثه طبقاً لجغرافية البلاد وألوان النسل والجيل.

يثبت في عقولنا، بذكر الكتّاب العرب المكرّر، أن العرب قد حفظوا تلك العلوم والفنون التي أخذوها عن الحضارات الكبرى المزدهرة، كما خلقوا علوماً وطوّروها وجدّدوا فيها، فما كانوا يفرّقون بين الطاهر والنجس ولا بين الشريف والوضيع. فلو لم يخرجوا لجمع العلوم وأخذها من أربابها لضاع قدر كبير من العلوم القديمة التي قاموا بصونها وإحيائها بأحسن طريق وأجمل أسلوب، ولانمحى تقليد العلاقات العلمية الساحرة بين البلدين. فقد بقي الاعتراف بالعرب لخدمتهم الكبرى، وخلد ذكرهم لهذا العمل التذكاري. فالكتاب الذي بين أيديكم يزيل التأثر بأن التاريخ قصة شن الغارات وإهراق الدماء وخلق العداوة وبذر الشقاء، ويسبب خليجاً من البغضاء بين الفاتح والمفتوح، ويشعل نار الانتقام بين الغالب والمغلوب. وحق الأخوة الإنسانية، ترفع رأسها في الفترة التي تنطفئ فيها شعلة القتال والحرب، ومن ثم تفتح سبل لا تحصى لإقامة العلاقات وخلق الاختلاط والتضامن، وتجري قافلة الثقافة العالمية من جديد تاركةً هذه الخرافات كلها وراء ظهورها.

اعترف الكاتب بهذا الواقع المرّ بشكل تام، وليس بشيء عجيب أن أشرف خلق الله رغب في علم من علوم العالم وطوّره بجانب أداء حقوق ربه الكريم وعباده الصالحين. ومثله مثل دينٍ أنزله الله لهداية البشر فاختار هو أشكالاً وصوراً حسب العصور والأجواء، إن هذا الرجل العابد المحب للعلم يجعل ذلك العلم ميزة له وهوية، مداراً لمحاولاته وثمرة

لجهوده ووسيلة لحكِّ الرين عن عقله؛ فالعلم ضالة كل إنسان. واقرأ عن جهود البشر الجهيدة في الظفر بهذه الضالة في قول ابن النديم الآتي:

"وقد كانت تبقت أشياء بناحية الهند والصين، كانت ملوك فارس نسختها على عهد نبيهم زرادشت وجاماسب العالم، وأحرزتها هناك، لما كان نبيهم زرادشت وجاماسب حذّراهم من فعل الإسكندر وغلبته على بلادهم وإهلاكه ما قدر عليه من كتبهم وعلمهم، وتحويله إياه عنهم إلى بلاده، فدرس عند ذلك العلم بالعراق وتمزق واختلفت العلماء، وقلت... إلى أن جاء الملك أردشير بن بابك من نسل ساسان، فألف مختلفهم وجمع متفرقهم، وقهر عدوهم، واستولى على بلادهم، واجتمع له أمرهم، وأذهب عصبيتهم واستقام له ملكهم، فبعث إلى بلاد الهند والصين في الكتب التي كانت قبلهم، وإلى الروم، ونسخ ما كان سقط إليهم، وتتبع بقايا يسيرة بقيت بالطرق، فجمع منها ما كان متفرقاً، وألف منها ما كان متبايناً، وفعل ذلك من بعده ابنه سابور، حتى نسخت تلك الكتب كلها بالفارسية على ما كان هرس البابلي الذي كان ملكاً على مصر، ودورسوس السرياني وقديروس اليوناني من مدينة أثينس المذكورة بالعلم، وبطليموس الإسكندراني، وفرماسب الهندي، فشرحوها وعلّموها الناس على مثل ما كانوا أخذوا من جميع تلك الكتب التي كان أصلها من بابل..."(١).

وتجد سعة آفاق العلم ومشاهدها في غير موضع من هذا الكتاب القيم فيقول الكاتب المحترم:

"وقد كانت تدرس في مدرسة جُنْدَيْسابُور الثقافة الهندية بجانب الثقافة اليونانية، وكان يشترك بعض الهنود في الدرس باللغة الفهلوية"(٢).

---

(١) الفهرست، ص٣٤٧.

(٢) ضحى الإسلام ١/٢٥٦.

"وأهل جنديسابور من الأطباء فيهم حذق بهذه الصناعة وعلم من زمن الأكاسرة، وذلك لسبب وصولهم إلى هذه المنزلة... جماعة يفضلون علاجهم وطريقتهم على اليونانيين والهند؛ لأنهم أخذوا فضائل كل فرقة فزادوا عليها بما استخرجوه من قبل نفوسهم..."[١].

أنتج الكاتب المحترم من دراسة مؤلفات علماء العالم العربي أن الثقافة الهندية قد تركت آثارها في غير بلد من بلاد العالم قبل ظهور الإسلام بكثير:

"ولما بدأت عملية التدوين في المسلمين تقربت الهند من العرب كثيراً، حتى انضمت منطقة من مناطقها إلى العالم الإسلامي، فيشهد التاريخ بأن عدداً كبيراً من علماء الهند وحكمائها وصلوا إلى بلاط العرب في العهد العباسي، ولا سيما عهد هارون الرشيد والمأمون بن الرشيد."[٢]

ذكر الكاتب الكبير فهرس العلماء الذين امتازوا في هذا المجال. يقول جرجي زيدان:

"ويظهر مما كتبه المسلمون بعد العصر العباسي في الأدب أو الطب أو الصيدلة أو السير أنهم اعتمدوا في جملة مصادرهم على كتب هندية الأصل. راجع قانون ابن سينا مثلاً أو الملكي للرازي أو غيرهما من كتب الطب الكبرى، فتراهم يذكرون بعض الأمراض ويشيرون إلى أن الهنود يسمونها مثلاً كذا وكذا أو يعالجونها بكذا وكذا..."[٣].

وبعد ذكر تأثير الطب الهندي الشديد في الطب الإسلامي خصّ المؤلف باباً بذكر الرياضيات، يذكر فيه قول البيروني الآتي:

---

(١) أخبار الحكماء، ص٥٣.

(٢) المصادر الهندية للعلوم الإسلامية، ص٤٧.

(٣) تاريخ التمدن الإسلامي ٣/ ١٧٧.

ودعوا لها العلماء الأجانب مثمرةً بكثرة حينما سكنوا تلك البلاد وسيطروا عليها.

قد قرّرت بعض الجامعات الدراسات الإسلامية والعربية موضوعاً للبحث والتحقيق منذ وسط القرن العشرين الميلادي، وفتحت أبوابها للبحوث والتحقيقات عنها، ولكنني لا أدري كيف ولم أصبحت هذه البحوث تقليدية ومطردة، ولعلهم لم يلفتوا إلى الموضوع الذي كتب فيه محمود هذه الرسالة الوجيزة. وهل لنا أن نتيقن بسبب فقد البحث في هذا المجال بأن لم تحدث أي علاقة علمية بين العلوم الإسلامية والعلوم الهندية خلال حكم المسلمين في الهند؟ ليس الأمر كما نظن، وإن لم تحدث العلاقة في الواقع فلنبحث عن أسبابها وبواعثها، وإلا فسنضطر إلى الاعتراف بزعم بعض الكتّاب الضيقي الآفاق أن تطوّر العلوم قد توقف عند ورود المسلمين في الهند، وأصبح ينبوع البحث والتحقيق غوراً، وهم لا يتذبذبون في اعتبار هذا العصر عصراً مظلماً لتاريخ الهند. فيجب علينا أن ندحض هذا الاتهام إذا قدرنا عليه. عندنا أربع جامعات تستطيع هذا، وزد على هذه المدارسَ الإسلامية والعربية في البلاد. فالبحث الذي بدأ به الكاتب الكريم يتطلب الاستجابة إليه من كل جانب. وما أجمل أن نقرّر في جامعاتنا تلك المواضيع التي تحيط بهذا الجانب، علاقة بلد علمية مع بلد آخر.

٢٢ أيار/ مايو ١٩٩٩م

سيد حامد

شيخ الجامعة، جامعة همدرد، نيودلهي

نائب شيخ الجامعة الأسبق،

جامعة علي كره الإسلامية

توطئة

إذا حدث أي نوع من العلاقة والارتباط بين القومين فالتبادل الحضاري واللغوي بينهما شيء فطري. فلا يوجد قومٌ في العالم يُحرَم التأثرَ بغيرِه من الأقوام والمِلل، وكلما توطدت هذه العلاقات تعمقت آثارها وتأصّلت، واللغة ليست بريئة من هذه الميزة. وفي بعض الأحيان تتأصل هذه الآثار في اللغة إلى حد تغيِّر صورتها وهيئتها، ولنشاهد أمثلة هذا الأصل في تأثير اللغة العربية في اللغة الفارسية والتركية، وتأثير اللغة اليونانية في اللغة الإنجليزية.

وعلاقات العرب بالهند قديمة جداً؛ فقد كان التجار العرب ينقلون إنتاجات الشرق الأوسط وإفريقية قبل ورود الإسلام لبلاد الهند بقرون، إلى الهند وسيلان وبرما والصين واليابان عن طريق البحر. كما كانوا يرجعون بأسباب وسلع الهند وغيرها من البلاد المجاورة إلى الشرق الأوسط وإفريقية. وقاموا ببناء قصورهم وعماراتهم الشامخة في سواحل الهند كما عمَّروا مستعمرات مستقلة بهم في جنوب الهند. منذ ذلك الحين بدأت اللغة العربية تتأثر باللغات الهندية، وتعمقت هذه الآثار وتأصلت بعد فتوح السند والهند، ونقصد في هذا المقال الوجيز كشف الغطاء عن هذه الآثار والملامح. جاءت هذه الآثار في ثلاثة أقسام:

١- وجود مفردات وأسماء هندية وسنسكريتية في اللغة العربية.

٢- مجيء أمثالهما وحِكَمهما فيها.

٣- ورود قصصهما وحكاياتهما فيها.

أولاً: وردت مفردات الهندية والسنسكريتية في اللغة العربية عن طريق التجارة. يقول صاحب (كتاب البلدان):

"خصّ الله عزّ وجلّ بلاد السند والهند... والأعواد والعنبر والقرنفل والسنبل والخولنجان والدارصيني والنارجيل والهليلج والتوتيا والقنى والخيزران والبعتم والصندل والساج والفلفل وعجائب كثيرة"(١).

فكلمات هذا المقتبس كلها هندية. وقد اختلط مئات من مثل هذه الكلمات بكلمات اللغة العربية، يصعب على القارئ معرفتها والوصول إلى أصولها دون المعاجم والقواميس. وسنذكر فيما يلي بعض هذه المفردات الهندية والسنسكريتية.

الهند: استخدم العرب هذه الكلمة لمعانٍ مختلفة وصيغ متعددة، وأحبوها إلى حد سمَّوا نساءهم وعشيقاتهم بـ (هند)، فهي تحتل في اللغة العربية ما تحتل كلمتا (ليلى) و (شيرين) من درجة ومعنى في اللغة الفارسية. يقول سيبويه:

أخالد قد علقتك بعد هند   فشيبني الخوالد والهنود

ويقول شاعر آخر:

ألا لا أبالي اليوم ما فعلت هند   إذا بقيت عندي الحمامة والورد

وتجمع (هند) على (هندات)، و(هنود)، و(أهند)، و(أهناد)، و(أهاند)، يقول رؤبة:

حتى استباع السند والأهاندا

وكلمة (هندي) جاءت نسبة إلى الهند فيقول عدي بن الرقاع:

ربّ نار بتّ أرمقها   تقضم الهندي والغارا

وفي بعض الأحيان يضيفون (ك) إلى هندي فيقولون: هندكي وجمعه (هنادك) يقول كثير:

---

(١) كتاب البلدان، ص٢٥١.

طماطم يوفون الوفور هنادكا

يقول ابن حبيب في شرح هذه الكلمة: "إن كلمة (الهنادك) هنا جاءت لرجال الهند".

بروص: هذه الكلمة معرَّبة من كلمة (بهروتش) (Bharoch) وهي مدينة شهيرة من غوجرات (Gujrat). جاء في (تاريخ المسعودي):

"وهناك مدينة الدَّيْبُل، به يتصل ساحل الهند إلى بلاد بروص، وإليها يضاف القنا البروصي"(١).

وكذلك استخدمها البلاذري في (فتوح البلدان):

"وجّهه الحاكم أيضاً إلى بروص ووجه أخاه إلى المغيرة بن أبي العاص إلى خور الديبل فلقي العدو وظفر"(٢).

وهكذا استخدمها الشعراء العرب فيقول أحدهم:

ألـفـت قـوسـاً ذا انـتـقـاء جاء بها جـالـب بـروصـاء

ويقول آخر:

من شـفـق خـضـر بـروصـات صـفـر الـلـجـاء والخـلـوقيات

النيلج: هذه كلمة معربة بـ (نيل) (Nil) الهندية. تعني لوناً أزرق بالهندية. جاء في معجم (لسان العرب): "النيلج... يعالج به الوشم ليخضر"(٣).

استخدمه الشعراء العرب أيضاً فقد قال ابن الأعرابي:

سوداء لم تخطط به نينلجا

---

(١) تاريخ المسعودي ١/١٣٩.

(٢) فتوح البلدان، ص١٨٨.

(٣) لسان العرب، مادة: ن ل ج.

فالنيلج والنينيلج معربة من (نيل).

القرمز: أصلها (كرمج) (Kirmich) بالهندية. هذا أيضاً لون هندي. عربها العرب باسم (القرمز). قال صاحب لسان العرب: "القرمز صبغ أحمر"(١).

الموز: أصلها هندي وهو (موشه) (Musha). تم تعريبها بـ (موز) جاء في معجم لسان العرب: "الموز معروف".(٢)

يقول المقدسي عن مدينة السند في كتابه الشهير (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم): "هو إقليم حارٌّ به نخيل ونارجيل وموز".

الفوطة: أصلها (بت) (Pat) أو (بوت) (Pot) بالهندية وهي تعني الإزار أو العمامة. عرّبوها بـ (الفوطة). يقول أبو المنصور ماهر فقه اللغة العربي:

"لم أسمع في شيء من كلام العرب في الفوطة... فلا أدري أعربي أم لا".

وقد جاء في رحلة التاجر الشهير سليمان التاجر:

"وأهل الهند يلبسون فوطتين ويتحلون بأسورة الذهب والجواهر، الرجال والنساء"(٣).

النارجيل: هي معرّبة (ناريل) (Nariyal) الهندية. جاء في لسان العرب: "النارجيل الجوز الهندي"(٤).

يهمزها العرب كما يجزمونها فيقول صاحب المعجم المذكور أعلاه:

---

(١) المصدر نفسه، مادة: ق ر م.
(٢) المصدر نفسه، مادة: م و ز.
(٣) سلسلة التواريخ، ص٥٩.
(٤) لسان العرب، مادة: ن ر ج.

"وفي لغة النأجيل والنأرجيل بالهمز"[١].

ويكتب سليمان التاجر:

"وهذه الجزائر التي تملكها المرأة عامرة بنخل النارجيل"[٢].

القسط: أصلها (كته) (Kuth) أو (كست) (Kust). جاء في لسان العرب:

"القسط: عود يجاء به من الهند يجعل في البخور والدواء"[٣].

ويقول ابن خرداذبة في رحلته: "ومن السند القسط والقنا والخيزران".

وكذا تسمّى القسط بـ (الكسط) و (القشط). جاء في لسان العرب:

"ويقال لهذا البخور قسط وكسط وقشط"[٤].

العود: هذه معربة كلمة (أود) (Avad) الهندية. يقول صاحب لسان العرب:

"والعود الخشبة المطراة يدخن بها، وقيل هو القسط البحري، وقيل هو الذي يتبخر به"[٥].

وقد ذكرها النبي ﷺ قائلاً: "عليكم بالعود الهندي".

ويكتب الجاحظ في كتابه (فخر السودان على البيضان):

"ومن عندهم جاء الملوك بالعود الهندي لا يعدله عود"[٦].

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه، ص٦.
(٣) لسان العرب، مادة: ق س ط.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه، مادة: ع و د.
(٦) فخر السودان على البيضان، ص٨٠.

استخدمها الشعراء كذلك، فقال أحد المولدين من الشعراء العرب:

وقهوة من سلاف الدن صائبة كالمسك والعنبر الهندي والعود

تجمع على (الأعواد) و (العيدان).

كان هذا يتم توريده من كار ومندل، ولذلك فهو يقال له: (المندلي) يقول النحوي الشهير المبرد: "المندل العود الرطب هو المندلي".

استخدمه العرب كذلك، فيقول عمرو بن الإطنابة:

إذا ما مشت نادى بما في ثيابها ذكـي الـشـدأ والمـنـدلي المـطـير

الفوفل: أصلها (كوبل) (Kopal) بالهندية. تعني ثمر نخلة صلب. يقول صاحب لسان العرب: "الفوفل ثمر نخلة صلب"(١).

وجاء في (عجائب الهند):

"وحدثني أن بقنوج من بلدان من يأخذ الفوفل بين شفريها فيكسرها قطعاً من شدة ما تضغطها"(٢).

ومضى قائلاً:

"فجعله في صينية وجعل عليه الكافور وحوله الهبل والتانبول والنورة والفوفل وضرب الطبل"(٣).

الفلفل: أصلها (بپلي) (Pipli) بالسنسكريتية ولكنها معربة لكلمة (بلبل) (Pilpil) بالفارسية، فتم نقلها من الفارسية التي أخذتها من السنسكريتية. تأتي هذه الكلمة بضم الفاء وكسرها معاً في العربية. يقول صاحب لسان العرب:

---

(١) لسان العرب، مادة: ف ف ل.

(٢) عجائب الهند، ص١١٩.

(٣) المصدر نفسه.

"الفلفل (كهدهد وزبرج) حب هدى معروف، وهو معرب بلبل بالكسر، لا ينبت بأرض العرب"[١].

وجاء في كتاب (المسالك والممالك):

"وذكر البحريون أن على كل عنقود من عناقيد الفلفل ورقة تكفه من المطر، فإذا انقطع المطر ارتفعت الورقة، فإذا عاد المطر عادت"[٢].

وكذلك استخدمها الشعراء العرب، فيقول امرؤ القيس:

ترى بعر الصيران في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل

ويقول المرقش الأكبر:

فكأن حبة فلفل في جفنه

جعلوا من هذه المادة صيغاً مختلفة؛ فيقول امرؤ القيس نفسه:

كأن مكاكي الجواء غدية صبحن سلافاً من رحيق المفلفل

الجوزبوا: أصلها (جاي بهل) (Jaiphal) في السنسكريتية. جاء ذكرها في رحلة أبي زيد السيراني، فهو يقول: "وفي منابته... الجوزبوا والقرنفل والصندل"[٣].

القرنفل: أصلها (كنتك بهل) (Kantak Phal) أو (كرن بهول) (Kiran Phool) بالسنسكريتية. يقول عنها صاحب لسان العرب:

"القرنفل والقرنفول شجر هندي ليس من نبات أرض العرب"[٤].

ويذكر الهمداني في (كتاب البلدان):

---

(١) لسان العرب، مادة: ف ل ف.
(٢) المسالك والممالك، ص٦٢.
(٣) سلسلة التواريخ ٢/١٣٧.
(٤) لسان العرب، مادة: ق ر ن.

"وخصّ الله عزّ بلاد السند والهند... الأعواد والعنبر والسنبل"(١).

وقد استخدمها الشعراء، فيقول الملك الضليل امرؤ القيس الكندي:

إذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

ويقول الأزهري:

وخود أتاة كالمهاة عطبول كأن في أنيابها القرنفول

جعلوا من هذه المادة صيغاً عديدة، فيقول صاحب لسان العرب:

"وطيب مقرفل، أي فيه قرنفل"(٢).

الكافور: هذه معربة من "كبور" (Kapoor). كان للعرب ذوق عالٍ للعطور، فكانوا يورِّدونها من تيت وسواحل الهند. كانت الكافور ذات أهمية وأفضلية فيما بين هذه العطور، فيقول صاحب لسان العرب: "والكافور أخلاط تجمع من الطيب"(٣).

جاء ذكر هذه الكلمة في القرآن الكريم، فيقول الله عز وجل عن مشروبات الأبرار والصالحين: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ [الإنسان: ٧٦/٥].

ذكرها الشعراء العرب كذلك، فيقول النابغة الشيباني:

كأن مدامة ورضاب مسك وكافوراً ذكياً لم يفش

الزنجبيل: هذه معربة من كلمة (زرنجابيرا) (Zaranjabeera) السنسكريتية التي تعني (زنجبيلاً أخضر) أو (جنزبيلاً) كان العرب

(١) كتاب البلدان، ص٢١٥.
(٢) لسان العرب، مادة: ق ر ن.
(٣) لسان العرب، مادة: ك ف ر.

يستخدمونها بمنزلة العطور. فيقول صاحب لسان العرب: "والعرب تصف الزنجبيل بالطيب، ومستطاب عندهم جداً"(١).

وفي بعض الأحيان يعرفونها بخمر ممزوجة من العطر، فيقول أحدهم: وزنجبيل عاتق مطيب.

ذكرها القرآن الكريم قائلاً: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧/٧٦].

استخدمها الشعراء العرب أيضاً، فيقول الأعشى في مدح (حنين) أمته:

كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وارياً منشوراً

المسك: أصلها (موشكا) (Moshka) بالسنسكريتية. هذه أيضاً من العطور، فقد جاء في معجم لسان العرب: "المسك معروف... والمسك ضرب من الطيب"(٢).

وقد جاء ذكرها في الحديث النبوي الشريف:

"خذي فرصة من مسك فتطيبي بها".

ذكرها الشعراء العرب كذلك، فيقول جران العود:

لقد عاجلتني بالسباب وثوبها جديد ومن أردانها المسك تنفخ

ويقول رؤبة:

وإن تشف نفسي من ذبابات المسك أمر بها أطيب من ريح المسك

غضارة: استخدمت هذه الكلمة في الأدب العربي للأواني من الطين اللازب الأخضر، يقول صاحب لسان العرب:

"قال ابن دريد: لا أحسبها عربية محضة، فإن كانت عربية فاشتقاقها

---

(١) لسان العرب، مادة: ز ن ج.

(٢) لسان العرب، مادة: م س ك.

من غضارة العيش؛ وغضارة العيش طيبه ونضرته. الغضارة للطين اللازب الأخضر... ومنه يتخذ الخزف الذي يسمَّى الغضارة"(١).

وقال صاحب (معجم البلدان):

"ومع غلامه غضارة فيها شيراز... يريد أن يقدِّمه إلى الملك... فقال: أرني هذا الشيراز... وغطى الغلام الغضارة... ومضى ليقدمه إذ قدمت المائدة... فبادر اليهودي... ووصف له الغضارة"(٢).

ويقول مسعر بن المهلهل الذي زار الهند في ٣٣١هـ، ولا سيما جنوبها عن أخبار كولم (Kolam) [التي تقع في تراونكور (Travankore) بمدراس]:

"وبها تعمل غضائر تباع في بلدانها على أنه صيني وهو ليس صينياً؛ لأن طين الصين أصلب منه وأصبر على النار"(٣).

عنبا: أصلها (آم) (Aam) بالسنسكريتية. يقول شريف الإدريسي في (نزهة المشتاق):

"وقد يوجد ببلاد الهند نبات تسمَّى (عنبا)، وهو شجر كبير شبه شجر الجوز وورقه كورقه، وله ثمر مثل ثمر المقل حلو ذو عقد في أوله، ويجمع في ذلك العين فيعمل بالخل فيكون طعمه كطعم الزيتون سواء هو عندهم. من الكوامخ الشهية"(٤).

الرخ: أصلها (رته) (Rath) بالسنسكريتية. يقول عنها اليعقوبي:

---

(١) لسان العرب، مادة: غ ض ر.
(٢) معجم البلدان، كلمة (غضارة).
(٣) المصدر نفسه، كلمة (الصين).
(٤) نزهة المشتاق، الإقليم الأول، ج١٠.

"وهو الرخان والفرسان"[(١)].

القار: هذه معربة من كلمة (تاركول) (Tarkol) بالسنسكريتية. فقد جاء في (عجائب الهند): "ثم يجعلون فوق الجلد القار فلا ينفذه ماء ولا غيره"[(٢)].

الرند: هذا من العطور، ويقال له: (السنبل الهندي). أصلها (نالدا) (Nalada) بالهندية، ثم استخدم في الفارسية بـ (ناردا) وتقلبت صورته من (نرد) إلى (رند) بالعربية[(٣)]. يقول ابن منظور في لسان العرب: "الرند... العود الذي يتبخر به"[(٤)].

ويقول أحد الشعراء العرب:

وبالرند أحياناً فذاك وقودها

الهرد: هذا أصل نبت هندي يتم استخدامه لاصفرار الثوب. أصله (هري در) (Haridar) بالهندية ثم تحول إلى (هلدي) (Haldi) ومن هنا تم تعريبه بـ (الهرد). يقول ابن البيطار:

"كانوا يأتون به من الهند".

ويروى "ينزل عيسى بن مريم في ثوبين مهرودين"[(٥)].

الفالج: هذا جمل هندي ذو سنامين فقد جاء في (الصحاح):

"والفالج: البعير ذو السنامين... يحمل من السند للفحلة".

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/١٠٩.
(٢) عجائب الهند، ص١٢٠.
(٣) علاقة العرب التجارية بالهند، ص٢٨.
(٤) لسان العرب، مادة: ر ن د.
(٥) سلسلة التواريخ، ص١٣٠.

ونفس الوصف ذكره المقدسي وابن حوقل:

"من خصائص السند: الفالج الذي تراه بالمشرق... له سنامان، مليح لا يستعمل ولا يملكه إلا الملوك"(١).

ويقول الدكتور السيد محمد يوسف في تحقيق هذه الكلمة:

"والفالج كلمة سندية محلية والجيم فيها علامة العجم"(٢).

الفيل: أصلها (بيلو) (Pilu) بالهندية نقلت إلى الفارسية بـ (بيل) (Peel) ومن (بيل) صارت الفيل، استخدمه الشعراء والأدباء العرب كثيراً، يقول الدكتور السيد محمد يوسف:

"والدليل الموثوق به على جلب البضائع براً من الهند (فيلة) ... ذكرت باسم غير معهود في الآشورية هو عن السنسكريتية"(٣).

ثانياً: والشيء الثاني الذي يدل على تأثير الهند في اللغة العربية هو القصص الهندية التي تم نقلها إلى اللغة العربية. فقد كان العرب مولعين بالقصص والحكايات، وكانوا يستمعون إلى القصص القديمة في الليلة المقمرة، بقي ذوقهم هذا منذ عصرهم الجاهلي إلى عصرهم الإسلامي، وبناءً على هذا فقد تمت ترجمة القصص والحكايات الهندية والسنسكريتية الحكيمة إلى اللغة العربية. ومن أبرز الكتب التي تم نقلها إلى العربية هي:

كليلة ودمنة: نالت قصص (كليلة ودمنة) الحكيمة قبولاً عاماً في معشر العرب. كان اسمها الهندي (بيدبا وبيل با) (Baidpa wa Pilpa). ذاع صيتها

---

(١) المسالك والممالك، ص٢٣١.

(٢) علاقة العرب التجارية بالهند، ص٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٤.

باسم (كليلة ودمنة) صنفها البرهمن الفيلسوف بيدبا للحاكم دبشليم باللغة السنسكريتية. جاء في (تاريخ اليعقوبي):

"ومن ملوكهم دبشليم، وهو الذي وضع في عصره كتاب كليلة ودمنة، وكان الذي وضعها بيدبا حكيم من حكمائهم و جعله ليعتبر بها ويتفهمها ذوو العقول ويتبادلون بها"(١).

قام البرهمن برزويه بترجمتها إلى اللغة البهلوية للملك أنوشيروان في ٥٣١-٥٧٩م. يقول المسعودي في تاريخه: "وكان نقل إليه (أنوشيروان) من الهند كتاب كليلة ودمنة"(٢).

ثم ترجمها من البهلوية إلى العربية عبد الله بن المقفع بجانب تقديمه القيم الفريد لها. يقول الكاتب نفسه:

"ثم ملك بعده دبشليم وهو الواضع لكتاب كليلة ودمنة الذي نقله ابن المقفع. وقد صنّف سهل بن هارون كتاباً ترجمه بكتاب (ثعلة وعفرة) يعارض فيه كتاب كليلة ودمنة في أبوابه وأمثاله يزيد عليه في حسن نظمه"(٣).

وهناك ترجمة عربية لها أخرى قام بها عبد الله بن هلال الأهوازي في ٧٨١هـ بأمر من يحيى البرمكي، نظمها سهل بن نوبخت ليحيى كما نظمها أبان بن عبد الحميد الكاتب في ١٤ ألف بيت منها:

هـذا كـتـاب أدب ومـهـنـة وهو الذي يدعى كليلة ودمنة
فـيـه احـتـيـالات وفـيـه رشـد وهـو كـتـاب وضـعـه الهند(٤)

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/٩٨.
(٢) تاريخ المسعودي ٢/٢٠٣.
(٣) المصدر نفسه، ص١٦١.
(٤) الأغاني ٢/٧٣.

السندباد: هذا أيضاً مجموع القصص التي تمت ترجمتها من السنسكريتية إلى العربية. لها جزآن، صغير وكبير. يزعم بعض المؤرخين أنها من مؤلفات علماء إيران ولكنها من مؤلفات الهنود. يقول ابن النديم:

"وكتاب السندباد نسختان، كبيرة وصغيرة، والخلف فيه مثل الخلف في كليلة ودمنة. والغالب والأقرب إلى الحق أن يكون الهند صنفته"(١).

ويقول المسعودي:

"وكان في مملكته وعصره سندباد، وله كتاب الوزراء السبعة والمعلم والغلام وامرأة الملك. وهو الكتاب المترجم بكتاب السندباد، وعمل في خزنة هذا الملك الكتاب الأعظم في معرفة العلل والأدواء والعلاجات"(٢).

يثبت من هذه المقتبسات أن السندباد مؤلف الهنود. والسبب وراء اختلاف الآراء هو نقله إلى الفارسية، الأمر الذي حث عديداً من المؤرخين على عزوه إلى الإيرانيين.

بوذاسف وبلوهر: ذكر ابن نديم هذا الكتاب ضمن الكتب الهندية المترجمة إلى العربية. هذا مجموع القصص الهندية، اسمه السنسكريتي (بودهي ستوبردهيتر) (Budhi Satu Pradhitra) اسمه العربي (بوذاسف وبلوهر) فبوذا مكان (بده) وسف مكان (ستو) وبلوهر مكان (بردهيتر).

يتحدث الكتاب عن مولد بوذا ودراسته وتربيته وعزلته عن الناس لأجل أمر مفاجئ، وزيارة ناسك من سرانديف له في شكل تاجر، وكشفه أمامه عن حقائق العالم ومعارفه وأسراره عن طريق التلميح والإشارة. تمت

(١) فهرست ابن النديم، ص٤٢٤.
(٢) تاريخ المسعودي ١/ ١٦٢.

ترجمته من العربية إلى اللغات الأخرى العالمية، كما يقول السيد سليمان الندوي: "إنه من كتب العالم المعدودة التي تؤثر في مرتكبي الأخطاء".

حدود منطق الهند: تختلف الآراء في موضوع هذا الكتاب هل هو عن منطق الطير أم النطق فقط. ذكره اليعقوبي ضمن كتب المنطق والفلسفة؛ فذكره باسم (كتاب طوفا في علم حدود المنطق): "ولهم في المنطق والفلسفة كتب كثيرة في أصول العلم منها كتاب طوفا في علم حدود المنطق"[١].

ولكن ابن النديم عدّه من كتب القصص والحكايات[٢].

يبدو من هذا أن هذا ليس بكتاب المنطق، بل يشتمل على القصص والأدب والأخلاق. والمراد من المنطق تعلم الإنسان حدود الكلام والحديث وأساليب النطق والتلفظ.

شاناق الهندي: اسمه السنسكريتي (جاناك) (Chanakya) يشتمل الكتاب على خمسة أبواب في موضوع الآداب والأخلاق. فذكر ابن النديم هذا الكتاب بما يلي:

"كتاب شاناق الهندي في الآداب خمسة أبواب"[٣].

تم فيه تعليم نظم وأساليب الحرب عن طريق القصص، فتمت الإشارة إلى اختيار الرجال وترتيب الفرسان وأمور أخرى متعلقة بالحرب والقتال. يقول ابن النديم:

"وكتاب شاناق الهندي في أمر تدبير الحرب، وما ينبغي للملك من الرجال في أمر الأساورة والطعام والسم"[٤].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/١٠٦.
(٢) فهرست ابن النديم، ص٤٢٤.
(٣) المصدر نفسه، ص٤٣٩.
(٤) المصدر نفسه، ص٤٣٧.

وعلاوة على تلك الكتب فثمة رسائل ومؤلفات هندية في موضوع القصص والحكايات مثل (دبك الهندي) الذي أصله (ديبك هندي) (Deepak Hindi). هذا الكتاب يتحدث عن قصة رجل وامرأة. و (قصة هبوط آدم) الذي ينطق عن حكاية نزول آدم عليه السلام إلى الأرض.

وكذا ذكر ابن النديم (كتاب البلد) و (كتاب أدب الهند والصين) و(كتاب ساويرم) ضمن مجموعات الهند القصصية.

ثالثاً: والشيء الثالث الهندي الذي يكثر وجوده في الأدب العربي هو أمثالها وحكمها، فقد امتازت الهند بها منذ فجر تاريخها. يقول القاضي صاعد الأندلسي:

"فكان (الهند) عند جميع الأمم على ممر الدهور وتقادم الأزمان معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسة وأهل الأحلام الراجحة للآراء الفاضلة والأمثال السائرة والنتائج الغريبة واللطائف العجيبة"[(١)].

وفيما يلي ذكر بعض الأمثال والحكم التي جاء ذكرها في الأدب العربي، والتي هي هندية قحة حسب قول ابن قتيبة صاحب (عيون الأخبار):

عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان[(٢)]، وشر المال ما لا ينفق منه، وشر الإخوان الخاذل، وشر السلطان من خافه البريء، وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن[(٣)]، وإنما مثل السلطان في قلة وفائه للأصحاب وسخاء نفسه عمن فقد منهم مثل البغي والمكتسب كلما ذهب واحد جاء آخر[(٤)]. والملك الحازم يزداد برأي الوزراء الحزمة كما يزداد

---

(١) طبقات الأمم، ص١٦.
(٢) عيون الأخبار ١/ ٥.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٣.
(٤) المصدر نفسه، ص٢٥.

البحر بمورده من الأنهار. وينال بالحزم والرأي مالا ينال بالقوة والجنود[١]. ومن التمس من الإخوان الرخصة عند المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة أخطأ الرأي وازداد مرضاً وحمل الوزر[٢]. وثلاثة أشياء تزيد في الأنس والثقة الزيادة في الرحل والمواكلة ومعرفة الأهل والحشم[٣]، وأربعة ليست لأعمالهم ثمرة مسار الأصم والباذر في السبخة والمسرج في الشمس وواضع المعروف عند من لا شكر له[٤]. وستة أشياء لاثبات لها؛ ظل الغمام وخلة الأشرار وعشق النساء والمال الكثير والسلطان الجائر والثناء الكاذب[٥].

فالأمثال والحكم المذكورة أعلاه هندية أصلاً، يتم استخدامها في الأدب العربي دون تكلف.

الشيخ عبد المجيد الندوي

عميد مدرسة الإصلاح سابقاً

---

(١) المصدر نفسه، ١/ ٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٢.

(٣) المصدر نفسه، ٣/ ٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ص١٦١.

(٥) المصدر نفسه، ص١٦٩.

خلفية الهند البيثقافية

العلوم الإسلامية التي نراها اليوم في صورتها الكاملة إنما هي نتيجة التراث العلمي للأمم العديدة، واختلاط حضارة العرب بحضارات اليونان وإيران والهند، فعلاوة على الإيرانيين والسريانيين أعانهم في ذلك عدد غير قليل من المترجمين النصارى والصابئين والهندوس الذين تم بفضل محاولاتهم الجماعية تدوينُ العلوم والفنون في المسلمين.

يشهد التاريخ بأنها كانت، حين ظهور الإسلام في جزيرة العرب، أربعة مراكز علمية كبرى تعمل عملها في العالم وهي مدرسة الإسكندرية ومدرسة اليونان ومدرسة جنديسابور مع مدارس إيران التابعة لها ومدرسة الهند.

هذه هي المراكز العلمية الأساسية التي انتشر منها العلم في مختلف أرجاء الهند. ويكشف التحقيق عن وجود علاقات ثقافية سحيقة في القدم بين هذه المدارس بحيث إن مؤلفات مدرسة منها كانت تحمل إلى مدرسة أخرى، كما كانت هي تنقل إلى لغاتها وتصان فيها. وهكذا فقد ساهمت إحداها في تطور الأخرى إلا أن للهند خصوصية؛ وهي أن ما تمتلكه من التراث العلمي هو من عند نفسها فلم تستعر شيئاً من الطب والفلسفة والرياضيات وغيرها من العلوم والفنون من البلاد المجاورة، أو التي كانت تعدلها في هذا المجال، والسبب وراء هذا لم يكن غناها في هذا الحقل العلمي، بل هي فوارقها الجنسية وأنانيتها التي كانت تعمل من ورائها، وتمنعها من الاستفادة من غيرها، وهذا واقع لا يعتريه أي نوع من الشك والريب. ونفصله فيما يأتي:

وقد كان شيء من أثر الفلسفة اليونانية في كتب السنسكريتية قبل ورود الإسكندر الهندَ، فيقول عالم هندي فارا هامي هيرا (Varahamihira) مشيراً إلى مجلد (السند هند) الثالث الذي يعزى إلى بوليس (Poulis) من أهالي الإسكندرية، ومجلده الرابع الذي قام بتأليفه عالم رومي يسمَّى بـ (بشريخين): ومع أن اليونانيين نجسون ولكنهم بلغوا درجة عليا لانتسابهم إلى العلوم، فلو زاد البرهمن طهارته الجنسية علماً ومعرفة لبلغ درجة لا يقدر على بلوغها أحد غيره.

والقرن السادس قبل الميلاد مدة بدأت فيها شمس فلسفة اليونان وحكمتها تطلع وتشرق، بينما كانت شمس حضارة الهند قد أشرفت على الغروب، فقد تم تأليف رسائل عديدة في السنسكريتية مثل؛ شولوا سوترا في الرياضيات، وأبنيشادات (Upnishads) في ذلك العصر الزاهر.

فقضية وعي النبات التي تعزى إلى أفلاطون، وقِدَم العالم إذ إن قدم المعلول مبني على قِدَم العلة، وتحزب القوى والأخلاق والبحوث المطولة عنها، وعدد العناصر وتجرد النفس الذي تدور حوله بحوث سقراط؛ أفكارٌ هندية اقتبسها اليونانيون من الهندوس فملؤوا رسائلهم بأمثالها. كان اليونانيون قد فطروا على جدارة شخصية مكّنتهم من أن يطوِّروا ما أخذوه من أفكار وآراء أهالي مصر وبابل، ولا سيما الهندوس، فخفّ أثر مبدعيها وغلب أثر آخذيها. وهذا هو السبب وراء دقة الأفكار اليونانية بالمقارنة مع الأفكار الهندية؛ فقد صرح أبو الريحان البيروني الذي قام بترويج العلوم الهندية بأن زيج السند هند الذي هو من أهم كتب الرياضيات لا يبلغ المجسطي قدراً ومنزلة.

مكتبة الإسكندرية والثقافة الهندية

تعدُّ مكتبة الإسكندرية أقدم مركز علمي في العالم. جمعت لها كتب لا تحصى من مختلف البلاد بما فيها الهند فيذكر ابن النديم:

"إن بطلوماوس فيلا دلفوس من ملوك الإسكندرية. لما ملك فحص عن كتب العالم وولّى أمرها رجلاً يعرف بزميره، فجمع من ذلك، على ما حكى، أربعة وخمسين ألف كتاب ومئة وعشرين كتاباً، وقال له: أيها الملك قد بقي في الدنيا شيء كثير في العدد، الهنود وفارس وجرجان والآرمان وبابل والموصل وعند الروم"(١).

يزيد القفطي روايته هذه علماً فيقول:

"لما سمع الملك عن هذا القدر الكبير من الكتب غمره السرور وأمر بأن تتم مواصلة هذا العمل العظيم، فقد بقيت الكتب تزداد عدداً حتى موته. ثم واصل هذه المسيرة من تبعه من الملوك حتى فتحها من قبل المسلمين"(٢).

اليونان والهند

يرجع بدء العلاقات الثقافية بين اليونان والهند إلى زمن غارة الإسكندر عليها، فقد كانت حضارة الهند قد بلغت من درجات الازدهار ما بهت الإسكندر، فأخبر بها أرسطو، وهذا كله واضح من ردّ أرسطو على رسالة الإسكندر فلنقرأه فيما يلي:

"أما بعد، كتبت إليّ تذكر الذي أعجبك من بنيان بيت الذهب(٣)

---

(١) الفهرست، ص٣٤٨.

(٢) تاريخ الحكماء، ص٣٥٦.

(٣) يقول عن هذا البيت زكريا بن محمد القزويني:
"بها بيت الذهب؛ قال مسعر بن مهلهل: مشيت إلى بيت الذهب المشهور بها فإذا هو من ذهب في صحراء، يكون أربعة فراسخ لا يقع عليها الثلج ويثلج ما حولها، وفي هذا البيت ترصد الكواكب، وهو بيت تعظمه الهند والمجوس، وهذه الصحراء تعرف بصحراء زردشت نبيّ المجوس، ويقول أهل تلك الناحية: =

بالهند، وما ذكرت أنك رأيت فيه من العجائب والبنيان الشامخ المزخرف بأنواع الجوهر، وما يؤنق العين من الذهب الأحمر، حتى قد بهر العيون منظره وسار في الأمم ذكره. وقد كتبت إليك أيها الملك أصونك لمعرفتك بالأمور السابقة العليا والأرضية السفلى أن يعجبك شيء صنعته الأيدي الفانية بالحكمة في الأيام القصيرة ومدة الزمان اليسيرة. ولكني أرضى لك أيها الملك أن ترفع نظرك إلى ما فوقك وتحتك وعن يمينك وعن شمالك من السماء والصخور والجبال والبحور، وما في ذلك من العجائب الغامضة والمصانع الظاهرة والبنيان الشامخ الذي لا ينحته الحديد ولا يثلمه المجانيق ولا تعلمه الأجساد المخلخلة الضعيفة في المدة المنقطعة»(١).

والواقع أن الأسباب التي كانت وراء غارة الإسكندر على الهند أهمها وأكبرها صيت الهند الذائع في الثقافة، فيقول الشهرستاني: إن حكماء الهند لما شعروا برغبة الإسكندر في الفلسفة والحكمة وحبه لها، طلبوا منه أن يرسل بعض حكماء بلده إليهم لكي يقيموا مناظرة معهم، فسمع الملك كلامهم وبعث حكماء بلاده إليهم. يقول الشهرستاني بعد ذكر هذه القصة: ومناظراتهم مذكورة في كتب أرسطوطاليس»(٢).

وهناك رواية أخرى تشابه الماضية وتلك أنه لما رجع الإسكندر إلى

= متى يخرج منه إنسان يطلب دولة لم يُغْلَبْ ولا يهزم له عسكر حيث أراد. وحكي أن الإسكندر لما فتح تلك البلاد ودخل هذا البيت أعجبه، فكتب إلى أرسطاطاليس وأطنب في وصف قبّة هذا البيت فأجابه أرسطو: إني رأيتك تتعجّب من قبّة عملها الآدميون، وتدع التعجب من هذه القبّة المرفوعة فوقك، وما زينت به من الكواكب وأنوار الليل والنهار». (آثار البلاد وأخبار العباد، ص٩٤-٩٥).

(١) التنبيه والإشراف، ص٢٠١.

(٢) الملل والنحل ٣/ ٣٨٤.

وطنه كتب إليه الحاكم الهندي كند (Kund) طالباً منه بعض حكماء بلده لإقامة المناظرة معهم فقبل الإسكندر طلبه وبعث جماعة من حكماء بلاده. يذكر المسعودي ما جرى بينهم وبين الحاكم كند من المناظرات والمناقشات العلمية:

"... فلما أخذت العلماء مراتبها، واستقرت بها مجالسها، أقبل عليهم مباحثاً لهم في أصول الفلسفة والكلام في الطبيعيات وما فوقها من الإلهيات، وعلى شماله جماعة من حكمائه وفلاسفته، فطال الخطب في المبدأ الأول، وتشاحّ القوم، ونظروا في موضوعات العلماء وترتيبات الفقهاء على غير مراء، وتناهى بهم الكلام إلى غاية كان إليها صدورهم من العلويات"(١).

ويروى أن الإسكندر ذهب بحكماء الهند حينما رجع منها، ولذا تذكر أسماء حكماء الهند لدى ذكر الحكماء الذين كانوا حاضرين موته. يقول المسعودي:

"فلما مات الإسكندر طافت به الحكماء ممن كان معه من حكماء اليونانيين والفرس والهند وغيرهم من علماء الأمم، وكان يجمعهم ويستريح إلى كلامهم ولا يصدر الأمور إلا عن رأيهم"(٢).

فمن الحكماء الذين ألقوا خطباً وكلمات عزائية بهذه المناسبة حكيم هندي، نقل المسعودي كلماته في كتابه الشهير، وهي: "يا من كان غضبه الموت، هلا غضبت على الموت"، وقال حكيم آخر: إن دنيا يكون هكذا آخرها فالزهد أولى أن يكون في أولها". كتب المسعودي عن هذا الحكيم: "وكان من نسّاك الهند"(٣).

---

(١) مروج الذهب ١/ ٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ١/ ٢٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ١/ ٢٤٧.

إيران والهند

تبتدئ العلاقات الثقافية بين الهند وإيران بترجمة (كليلة ودمنة) إلى اللغة الفهلوية التي تمت في عصر أنوشيروان. ولكن لو قمنا بدراسة عميقة لتاريخ البلدين لوجدنا أنه كانت علاقات ثقافية بينهما قبل هذه، وهي حلقة من حلقات هذه العلاقات. تسلط الضوء على هذا رواية ابن النديم التي جاءت في كتابه الفريد (الفهرست):

"وقد كانت تبقت أشياء بناحية الهند والصين، كانت ملوك فارس نسختها على عهد نبيهم زرادشت وجاماسب العالم، وأحرزتها هناك، لما كان نبيهم زرادشت وجاماسب حذّراهم من فعل الإسكندر وغلبته على بلادهم وإهلاكه ما قدر عليه من كتبهم وعلمهم وتحويله إياه عنهم إلى بلاده، فدرس عند ذلك العلم بالعراق وتمزق واختلفت العلماء، وقلت... إلى أن جاء الملك أردشير بن بابك من نسل ساسان، فألف مختلفهم وجمع متفرقهم، وقهر عدوهم، واستولى على بلادهم، واجتمع له أمرهم، وأذهب عصبيتهم واستقام له ملكهم، فبعث إلى بلاد الهنود والصين في الكتب التي كانت قبلهم وإلى الروم، ونسخ ما كان سقط إليهم، وتتبع بقايا يسيرة بقيت بالطرق، فجمع منها ما كان متفرقاً، وألف منها ما كان متبايناً، وفعل ذلك من بعده ابنه سابور، حتى نسخت تلك الكتب كلها بالفارسية على ما كان هرس البابلي الذي كان ملكاً على مصر، و دورسوس السرياني وقديروس اليوناني من مدينة اثينس المذكورة بالعلم، وبطليموس الإسكندراني، وفرماسب الهندي، فشرحوها وعلّموها الناس على مثل ما كانوا أخذوا من جميع تلك الكتب التي كان أصلها من بابل... "[1].

---

(١) الفهرست، ص٣٤٧.

مدرسة جُندَيسابُور

هذه معهد علمي شهير في إيران. يروى أن سابور الأول (٢٤١-٢٧١م) قام بتأسيسه وتطويره حتى أصبح معهداً علمياً كبيراً في حياته. كتب بعض المؤرخين أن سابور أمر بترجمة كتب اللغة اليونانية العديدة وصانها في المكتبة[١]، ثم جاء كسرى أنوشيروان فأحياها. في عصره جاء برزويه الهند ورجع بكليلة ودمنة إلى وطنه. زعموا أن برزويه جاء الهند لمجرد حمل الكتاب إلى الوطن، ولكن الرواية التامة تقول: إن برزويه لم يزرها وحيداً، بل جاء في وفد للحكومة الإيرانية. فأرى أن هذا الوفد كان خطوة من خطا تطوير مدرسة جنديسابور، وكان يهدف إلى حمل التراث الهندي العلمي إلى الوطن الإيراني. ولو أن هذه الرحلة العلمية لم يذكر في عاقبتها سوى حمل كليلة ودمنة، ولكن هذا يجبر على التفكر في مآل هذه الرحلة العلمية وعظمتها، فهل رحلة علمية تعقد لمجرد كتاب لقصص وحكايات؟! لا بد من وجود مزيد من التراث العلمي، ولكن التاريخ لا يدل على شيء غير هذا. يؤيد ما ذهبنا إليه وجود عدد وافر من حكماء الهند في المدرسة بعد رحلة برزويه هذه بقليل. وكذلك تدل الروايات على أن الطب الهندي كان قسماً خاصاً من أقسامها المختلفة، تم فيه تقرير الأساتذة الهندوس. يقول المؤرخ المعاصر الشهير أحمد أمين المصري عن هذه المدرسة:

"وقد كانت تدرس في مدرسة جنديسابور الثقافة الهندية بجانب الثقافة اليونانية، وكان يشترك بعض الهنود في الدرس باللغة الفهلوية"[٢].

---

(١) تاريخ علوم عقلي، در تمدن إسلام، ص٢١.

(٢) ضحى الإسلام ١/٢٥٦.

ويقول القفطي:

"وأهل جنديسابور من الأطباء فيهم حذق بهذه الصناعة، وعلم من زمن الأكاسرة، وذلك لسبب وصولهم إلى هذه المنزلة... جماعة يفضلون علاجهم وطريقتهم على اليونانيين والهند؛ لأنهم أخذوا فضائل كل فرقة وزادوا عليها بما استخرجوه من قبل نفوسهم..."[1].

يتضح من الروايات المذكورة أعلاه أن الثقافة الهندية قد بلغ أثرها أنحاء العالم كافة حينما جاء الإسلام ونال درجة جليلة في العالم العلمي. كان العرب واقفين على الهند منذ القدم، فكانت بينهما علاقة تجارية وطيدة مع وجود العلاقات الأخرى. ولما بدأت عملية التدوين عند المسلمين تقربت الهند من العرب كثيراً، حتى انضمت منطقة من مناطقها إلى العالم الإسلامي، فيشهد التاريخ بأن عدداً كبيراً من علماء الهند وحكمائها وصلوا إلى بلاط العرب في العهد العباسي ولا سيما عهد هارون الرشيد والمأمون بن هارون الرشيد. كان من بين هؤلاء العلماء الهندوس من تعلّم اللغة الفارسية والعربية لأجل ارتباطهم بمدرسة جنديسابور فأفادوا العرب، بحيث نقلوا العلوم والفنون إلى العربية. ومن هؤلاء العلماء والمترجمين من يأتي ذكرهم فيما يلي:

كنكا الهندي

كان من كبار فلاسفة الهند. حذق في الطب وكانت له اليد الطولى في أمزجة الأشياء وطبائعها وخواصها وآثارها. وفضلاً عن هذا فقد كان عارفاً بعلم الأفلاك وتركيبها وحركة الكواكب[2]. يقول جرجي زيدان:

"اشتهر حوالي العصر العباسي جماعة من علماء الهند في الطب

---

(١) أخبار الحكماء، ص٩٣.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٣٢.

والنجوم والفلسفة وغيرها، منهم كنكه الهندي وهو من متقدميهم وأكابرهم وخصوصاً في علم النجوم فضلاً عن الطب، وله مؤلفات كثيرة"(١).

ذكر له بعض المؤرخين اسمين آخرين (منكه) و(كنكه)، حتى أخطأ بعضهم فذكروا (كنكه) و(منكه) رجلين على حدة كما حدث مع ابن أبي أصيبعة في كتابه (عيون الأنباء في طبقات الأطباء)، وابن النديم في (الفهرست)، وهكذا عزيت بعض كتب كنكا إلى كنكه، وبعضها نسبت إلى منكه. ولكن التحقيق يثبت أنه لم يكن فيلسوف أو حكيم هندي يسمّى (منكه)، بل هو كنكا الذي أصله الهندي (dadk:Kanka).

أما مجيئه إلى بغداد فيذكر المؤرخون أن هارون الرشيد أصابه مرض شديد عجز عن علاجه أطباء بغداد كلهم، فأشار عليه الأمير أبو عمرو العجمي من بين حواشيه أن يدعو (منكه) كنكا، فتقبل هارون هذه المشورة وأرسل رجلاً إلى الهند بالزاد كي يأتي به، فجاء الطبيب وعالجه فشفي. تأثر به الخليفة شديداً وقرّر له منحة شهرية(٢).

ويذكره الجاحظ من الحكماء الهندوس الذين دعاهم يحيى بن خالد البرمكي إلى بغداد، إلا أن اسمه مذكور هنا ب (منكه).

عدّه أبو معشر جعفر بن محمد في المنجمين، وكتب أنه فاق المنجمين في عصره، واعترف بمهارته في علم الفلك فلاسفةُ عصره وعلماء زمانه. تفرر في منجمي مدرسة جنديسابور وأطبائها، وترجم كتب الهندية إلى الفارسية والعربية(٣).

يروى أنه بينما كان ماراً في الخلد إذا هو برجل من المائتين قد بسط

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ٣/ ١٧٧.
(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢/ ٣٣.
(٣) المصدر نفسه والصفحة ذاتها.

كساء وألقى عليه عقاقير كثيرة، وقام يصف دواء عنده معجوناً، فقال في صفته: هذا دواء للحمى الدائمة وحمى الغب وحمى الربع، ولوجع الظهر والركبتين والخام والبواسير والرياح ووجع المفاصل ووجع العينين، ولوجع البطن والصداع والشقيقة، ولتقطير البول والفالج والارتعاش، ولم يدع علة في البدن إلا ذكر أن ذلك الدواء شفاؤها، فقال منكه لترجمانه: ما يقول هذا؟ فترجم له ما سمع. فتبسم منكه وقال: على كل حال ملك العرب جاهل، وذلك أنه إن كان الأمر على ما قال هذا، فلم حملني من بلدي وقطعني عن أهلي وتكلف الغليظ من مؤنتي، وهو يجد هذا نصب عينه وبإزائه؟ وإن كان الأمر ليس كما يقول، فلم لا يقتله؟ فإن الشريعة قد أباحت دم هذا ومن أشبهه؛ لأنه إن قتل ما هي إلا نفس تحيا بفنائها أنفس خلق كثير، وإن ترك وهذا الجهل قتل في كل يوم نفساً وبالحري أن يقتل اثنين وثلاثة وأربعة في كل يوم، وهذا فساد في الدين ووهن في المملكة[1].

ذكر المؤرخون العرب من مؤلفاته الآتي:

١- كتاب النموذار في الأعمار.

٢- كتاب أسرار المواليد.

٣- كتاب القرانات الصغير.

٤- كتاب القرانات الكبير.

٥- كتاب في أحداث العالم والدور في القران.

٦- كتاب في التوهم[2].

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢/ ٣٤.

(٢) الفهرست، ص٣٩٢.

وعلاوة على الكتب المستقلة فله تراجم قام بها من السنسكريتية إلى العربية أو الفارسية وهي مذكورة في الصفحات التالية.

صالح بن بهلة

أصل اسمه السنسكريتي (Salta: lkyVk). أبوه بهلة. ولما كان يصعب تلفظ (ت) في العربية فقد عربوه وجعلوه (صالح) حتى بعدت الكلمة عن أصلها، فلم يقدر الباحثون على رجع المعرَّب إلى الأصل، فجاءت الكلمة المعرَّبة في المصادر العربية والفارسية كافة. قال عنه جرجي زيدان:

"ومنهم صالح بن بهلة الهندي، جاء العراق في أيام الرشيد ونال شهرة واسعة وخالط أطباءها يومئذ، واختلطوا به فإذا لم يكونوا نقلوا شيئاً من كتبه فلا بد من اقتباسهم شيئاً من آراء الهند"(١).

وقد عالج ابن عم الخليفة هارون الرشيد علاجاً لا مثيل له في تاريخ الطب. فيروى أنه أصابته السكتة، فحكم جبرئيل بن بختيشوع بالموت، ولما سمعه صالح جاء وعالجه فشفي المريض، وحيّ لمدة طويلة. تفصيل هذا مذكور في عيون الأنباء في طبقات الأطباء(٢)، وتاريخ الحكماء(٣).

ابن دهن

أصل اسمه السنسكريتي أبندهن (Abindhun: vfoU/ku) ولكن المؤرخين ذكروه بـ (ابن دهن) وهذا خطأ مطبعي. ضلّ الباحثون في تعيين أصله السنسكريتي، فالبروفيسور أيدورد ساخاو (Adward Sakhau) ذهب

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ٣/١٧٨.
(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢/ ٣٥.
(٣) تاريخ الحكماء، ص٢١٥.

كتب عديدة في هذا الباب ولكن لم يهتد إلى الأصل المراد. يقول عنه ابن النديم:

"ابن دهن الهندي وكان إليه بيمارستان البرامكة. نقل إلى العربي من اللسان الهندي"(١).

سنجهل الهندي

هذا الاسم تعريب سنغهل (Sanghal: la?ky). كان أبرز فلاسفة وأطباء الهند. برع في فن النجوم والطب. من مؤلفاته اثنان تمت ترجمتهما إلى اللغة العربية وهما:

١- المواليد الكبير. ٢- أسرار المسائل(٢).

ذكره البيروني في فهرس المنجمين(٣).

وفيما يلي أسماء من ذكرهم الجاحظ ممن دعاهم يحيى بن خالد البرمكي إلى بغداد(٤):

١- منكه: وهو كنكا الذي جاء ذكره في السابق.

٢- بازيكر: أصله السنسكريتي (Vijayagar: fot;xj).

٣- قلرقل.

٤- سندباز: أصله السنسكريتي (Sidhbar: fl)ckj).

---

(١) الفهرست، ص٣٥٦.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٩٢
(٣) كتاب تحقيق ما للهند، ص٧٦.
(٤) البيان والتبيين ١/ ٤٠.

العلوم الهندية التي أخذها العرب

أولاً: علم الطب (Medicine)

علم الطب علم قديم شريف، توجد معالمه قبل المسيح بستة آلاف سنة. اختلف المؤرخون في بديعه. ذكر القفطي وابن النديم رواية طويلة في هذا الباب؛ ملخصها أن بعض الناس يزعم أن المصريين أوجدوا هذا العلم، في حين يرى الآخرون أن هرمس استخرج علم الطب والفلسفة، وكذلك يرى البعض أن أهالي قوس أو قالوس قاموا بخلقه، والهندوس أيضاً يُعدُّون ممن أحدثه[1].

أيّاً ما كان فالمعترف به أن الهندوس لهم مساهمة ملموسة في تدوين علم الطب، ولذلك لما بدأ المسلمون يبحثون عن هذا العلم قاموا بترجمة عدد كبير من رسائل الطب الهندي بجانب ترجمة مصادره المصرية واليونانية والإيرانية، وإن كنا لا نمتلك معلومات مقنعة بهذا الشأن، ولكن ما أثَر المؤرخون يدلنا على أن للطب الهندي دوراً قيادياً في تشكيل الطب العربي، فيعلم عن يحيى بن خالد البرمكي أنه بعث رجلاً إلى الهند لكي يرجع بمعلومات عن عقاقيرها المفيدة وأدويتها المريحة ودياناتها العجيبة وأفكارها القيمة[2]. وإن كنا لا نقف على ذلك الرجل المبعوث من قبل يحيى، ولكن العقاقير والأدوية التي ذكرها معلومة لدينا ودالّة على أن محاولة يحيى هذه قد تكللت بالنجاح.

---

(١) تاريخ الحكماء، ص٩٢.

(٢) الفهرست، ص٤٩٨.

ومدى تأثر المسلمين بالطب الهندي يتضح من قول جرجي زيدان:

"ويظهر مما كتبه المسلمون بعد العصر العباسي في الأدب أو الطب أو الصيدلة أو السير أنهم اعتمدوا في جملة مصادرهم على كتب هندية الأصل. راجع قانون ابن سينا مثلاً أو الملكي للرازي أو غيرهما من كتب الطب الكبرى، فتراهم يذكرون بعض الأمراض ويشيرون إلى أن الهنود يسمونها مثلاً كذا وكذا أو يعالجونها بكذا وكذا..."[١].

وفيما يلي دراسة موجزة لرسائل الهندوس وكتبهم التي تمت ترجمتها في العصر العباسي:

١- سشرت سنهتا (Sushuruti Sanhita: lqJqfr lafgrk)

ولعل أول كتاب من الطب الهندي تمت ترجمته إلى العربية هو سشرت سنهتا. قام بتأليفه سشرت الذي كان حاذقاً في علم الطب وأركانه الأساسية. تعلّم الطب على ديف داس (Devdas) في بنارس (Banaras). يعدُّ هذا الكتاب عديلاً للقانون في الطب العربي. ذكره المؤرخون العرب باسم (سسرد)[٢].

يحتوي الكتاب على أعراض الأمراض وأدويتها ومداواتها. فيه عشرة أبواب. يقول عنه ابن النديم:

"كتاب سسرد، عشر مقالات. أمر يحيى بن خالد بتفسيره لمنكه الهندي في البيمارستان ويجرى مجرى الكناش"[٣].

أحال إليه الرازي في مختلف المواضع في كتابه[٤].

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ٣/ ١٧٧.
(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢/ ٣٣.
(٣) الفهرست، ص٤٣٥.
(٤) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢/ ٣٣.

تمت ترجمته الإنجليزية بقلم كويرا بهيشا غرانتا وطبع في القرن السابع عشر الميلادي في كولكوتا(١).

٢- تشرك سنهتا (Chark Sanhita: pjd lafgrk)

هذا عمل الطبيب الهندي الشهير (تشرك) الذي كان في بلاط (كنشك) (Kanishk) أشهر ملوك الهند. كان ناغارنجان (Nagaranjan) وآشوغهوش (Ashu Ghosh) من معاصريه(٢). عصره القرن الأول الميلادي. يقول عنه البيروني:

"ولهم (للهنود) كتاب يعرف بصاحبه وهو (چرك) يقدِّمونه على كتبهم في الطب، ويعتقدون فيه أنه كان (رشا) في (دواپر) الأدنى، وكان اسمه (أكن بيش) ثم يسمَّى (چرك) أي العاقل لما حصّل الطب من الأوائل أولاد (سوتر)، وكانوا رشين، وهؤلاء أخذوه من (اندر)، وأخذه اندر من (أشوني) أحد طبيبي (ديو) أخذه هذا من (پرجاپت) وهو براهم الأب الأول وقد نقل هذا الكتاب للبرامكة إلى العربي"(٣).

أولاً تمت ترجمته من السنسكريتية إلى الفارسية، ثم قام عبد الله بن علي بترجمته من الفارسية إلى العربية. كتب بعض المؤرخين أن من قام بترجمته العربية هو كنكا.

ذكره المؤرخون العرب باسم (كتاب شرك) و(كتاب سيرك)(٤).

استفاد منه الرازي في مؤلفاته.

---

(١) تاريخ علوم عقلي در تمدن إسلام، ص٢٨.

(٢) البرامكة، ص٢٢٩.

(٣) كتاب تحقيق ما للهند، ص٧٦.

(٤) الفهرست، ص٤٣٥.

٣- كتاب السموم

صانع هذا الكتاب تشاناكيا (Chanakya) الذي عرّبه المؤرخون العرب بـ (شاناق). كان وزيراً لتشاندرا غوبت موريا (Chandra Gupt Maurya) (٢٩٨-٣٢١ ق م). يقول عنه ابن أبي أصيبعة:

"ومن المشهورين أيضاً من أطباء الهند شاناق، وكانت له معالجات وتجارب كثيرة في صناعة الطب، وتفنّن في العلوم وفي الحكمة، وكان بارعاً في علم النجوم، حسن الكلام، متقدماً عند ملوك الهند"[(١)].

يشمل الكتاب خمس مقالات. قام كنكا أولاً بترجمته إلى الفارسية ليحيى بن خالد البرمكي، ثم قام عباس بن سعيد الجوهري مولى الخليفة المأمون بن الرشيد بترجمته العربية[(٢)].

يقول عنه الدكتور ذبيح الله صفا:

"في ١٩٣٤م طبع كتاب من برلن يسمّى (كتاب الشاناق في السموم والترياق) مع ترجمته الألمانية. قام بتدوينه بينيتلا إستراس (Benitla Strauss). له جزآن، جزء يحتوي على (كتاب السموم) للشاناق، وآخر يشمل ما كتب في هذا الموضوع في اللغة اليونانية حين ترجمته الفارسية لهذا الكتاب"[(٣)].

٤- كتاب في علاجات النساء

هذا الكتاب من مؤلفات إحدى طبيبات الهند (روسا). لم نعثر على من ترجمه إلى العربية. قد رآه الرازي في حياته فاستفاد منه في مؤلفاته[(٤)].

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢/ ٣٣.
(٢) الفهرست، ص٤٢١.
(٣) تاريخ علوم عقلي در تمدن إسلام، ص٣٨.
(٤) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢/ ٣٣.

٥- كتاب توقشنل/نوكشنل

وهو من تأليف طبيب هندي يسمَّى (توقشنل). ومن ظلم المؤرخين العرب أنهم لم يذكروا الكتب الهندية بأسمائها، بل عزوها إلى أصحابها دون ذكر الأسماء والعناوين. لم نقف على حياة صاحبه وعصره واسمه السنسكريتي . لم يذكر عنه المؤرخون العرب سوى احتوائه على مئة مرض ومئة دواء[١].

وللمؤلف نفسه كتابٌ آخر يسمَّى (التوهم في الأمراض والعلل). استفاد منهما الرازي في مؤلفاته[٢].

٦- كتاب في أجناس الحيّات وسمومها[٣]

قام بتأليفه روي (Roy) الهندي. لم نعثر على من أدّى فريضة ترجمته إلى العربية.

٧- كتاب ندان

تلفظه بعض المؤرخين بـ (بدان). يبدو أنه اسم المؤلف الذي عزي إليه الكتاب. يشمل الكتاب أربعة أبواب. ذكر فيه المؤلف أعراض أربع مئة وأربع علل وأمراض[٤].

٨- كتب هندية مجهولة عناوينها

وفضلاً عن الكتب الماضي ذكرها فقد تمت ترجمة كتب أخرى إلى اللغة العربية، لم يذكر المؤرخون لها أسماء على حدة بل ذكروا مؤلفين وكتّاباً، يقول ابن أبي أصيبعة :

(١) المصدر نفسه، ٢/ ٣٣.
(٢) الفهرست، ص٤٣٥.
(٣) تاريخ اليعقوبي ١/ ٩٤.
(٤) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢/ ٣٣.

"صنجهل كان من علماء الهند وفضلائهم الخبيرين بعلم الطب والنجوم، ولصنجهل من الكتب كتاب المواليد الكبير، وكان من بعد صنجهل الهندي جماعة في بلاد الهند، ولهم تصانيف معروفة في صناعة الطب وفي غيرها من العلوم مثل باكهر، راحه، صكه، داهر، انكو، زنكل، جبهر، اندى، جارى، كل هؤلاء أصحاب تصانيف، وهم من حكماء الهند وأطبائهم، ولهم الأحكام الموضوعة في علم النجوم، والهند تشتغل بمؤلفات هؤلاء فيما بينهم ويقتدون بها ويتناقلونها، وقد نقل كثير منها إلى اللغة العربية، ووجدت الرازي أيضاً قد نقل في كتابه الحاوي وفي غيره عن كتب جماعة من الهند مثل كتاب شرك الهندي، وهذا الكتاب فسره عبد الله بن علي من الفارسي إلى العربي، لأنه أول نقل من الهندي إلى الفارسي، وعن كتاب سرد، وفيه علامات الأدواء ومعرفة علاجها وأدويتها وهو عشر مقالات، أمر يحيى بن خالد بتفسيره، وكتاب (بدان في علامات أربع مئة وأربعة أدواء ومعرفتها بغير علاج)، وكتاب سندهشان وتفسيره كتاب صورة النجح، وكتاب فيما اختلف فيه الهند والروم في الحار والبارد وقوى الأدوية وتفصيل السنة، وكتاب تفسير أسماء العقار بأسماء عشرة، وكتاب استانكر الجامع وكتاب علاجات الحبالى للهند، وكتاب مختصر في العقاقير للهند، وكتاب توقشنل فيه مئة داء ومئة دواء، وكتاب روسى الهندية في علاجات النساء، وكتاب السكر للهند، وكتاب راي الهندي في أجناس الحيات وسمومها، وكتاب التوهم في الأمراض والعلل لأبي قبيل الهندي"[١].

ويقول ابن النديم:

"ممن وصل إلينا كتبه في النجوم والطب: باكهر، راحه، داهر، آنكو، زنكل، أريكل، جبهر، اندى، جبارى"[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ٢/ ٣٣.

(٢) الفهرست، ص٣٧٨.

٩- كتب هندية مجهول مؤلفوها

وهناك عدد غير قليل من الكتب والرسائل التي تفقد أسماء مؤلفيها، فجاء ذكر أسمائها العربية فيصعب على الباحث المحقق البحث عن أصولها وهي:

أ- كتاب مختصر للهند في العقاقير.

ب-كتاب علاجات الحبالى للهند.

ج-كتاب أسماء عقاقير الهند: ترجمه كنكا الهندي إلى العربية لإسحاق بن سليمان(١). ذكره اليعقوبي، وقال: كل عقار بأسماء عشرة(٢).

د-كتاب السمومات(٣).

هـ-كتاب سندهشان: ترجمة عنوانه (الطريق إلى الفوز). نقله إلى العربية ابن دهن الهندي(٤).

و-كتاب في ذكر اختلاف الأطباء الهندوس والروميين في برودة الأدوية وحرارتها وقواها ودوامها(٥).

ز-كتاب استانكر الجامع: نقله إلى العربية ابن دهن(٦).

ح-كتاب السكر(٧).

---

(١) الفهرست، ص٤٣٥.
(٢) تاريخ اليعقوبي ١/ ٩٤.
(٣) الفهرست، ص٤٥٤.
(٤) المصدر نفسه، ص٤٣٥.
(٥) تاريخ اليعقوبي ١/ ٩٤.
(٦) الفهرست، ص٤٣٥.
(٧) المصدر نفسه.

ط-كتاب في علامات الأدواء ومعرفة علاجها: أمر بترجمته إلى العربية يحيى بن خالد البرمكي[١].

ي-كتاب في معرفة العلل والأدواء والعلاجات: كتاب رائع تم تأليفه في عصر الحاكم كورش (Korsh). عرّف فيه بالعقاقير عن طريق صورها وأشكالها[٢].

أرى أن الكتابين الأخيرين واحد فلا فرق بين عنوانيهما في المعنى.

ك-كتاب أطر في المشروبات[٣]: ذكره ابن النديم في فهرس (أسماء الخرافات)، ولكن يبدو أنه كتاب في علم الطب، فإن أطر اسم لطبيب هندي ذكره البيروني بـ (أطرفي).

ثانياً: البيطرة (Veterinary)

في هذا العلم تم نقلُ كتاب لشاناق الهندي إلى اللغة العربية[٤].

ثالثاً: الرياضيات (Mathematics)

من أهم ما أثره المسلمون في عصورهم عن خدمة العلوم المختلفة نقل الأعداد الهندية (من ١ إلى ٩) إلى اللغة العربية، ونشرها في أرجاء العالم كافة. فقد كانت الأعداد تكتب قبل هذا عن طريق الحروف. أخذها العرب من الهنود فسمّوها (الأعداد الهندية) كما سمّاها الأوربيون بـ (الأعداد العربية) (Arabic Figures) لأنهم أخذوها عن العرب، فأول من أخذ هذه

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ٣/ ١٧٧.
(٢) مروج الذهب ١/ ٦٧.
(٣) الفهرست، ص٤٣٩.
(٤) مفاتيح العلوم، ص١٨٦.

الأعداد عن الهنود هو أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي، ولذلك يسمَّى قسم من أقسام الرياضيات بـ (Algorism) في الإنجليزية وذلك نسبة إلى هذا الخوارزمي[١]. تسمَّى هذه الأعداد الهندية بـ (حساب الغبار)؛ فقد ذكرها القاضي صاعد الأندلسي تحت هذا العنوان فهو يقول:

"ومما وصل إلينا من علومهم في العدد حساب الغبار الذي بسطه أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي، وهو أوجز حساب وأحضره وأقربه تناولاً وأسهله مأخذاً، وأبدعه تركيباً، يشهد للسند بذكاء الخواطر وحسن التواليد وبراعة الاختراع"[٢].

ويقول اليعقوبي صاحب التاريخ الشهير:

"ووضع التسعة الأحرف الهندية التي يخرج منها جميع الحساب والتي لا تدرك معرفتها وهي ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩ فالأول منها واحد، وهو عشرة ومئة، وهو ألف، وهو مئة ألف، وهو ألف ألف، وهو عشرة آلاف ألف، وهو مئة ألف ألف، وعلى هذا الحساب أبداً فصاعداً، والثاني، وهو اثنان، وهو عشرون، وهو مئتان، وهو ألفان، وهو عشرون ألفاً وهو مئتا ألف، وهو ألفا ألف، وعلى هذا الحساب التسعة الأحرف، فصاعداً، غير أن بيت الواحد معروف، وكذلك بيت العشرة معروف من المئة وكذلك كل بيت، وإذا خلا بيت منها يجعل فيه صفر ويكون الصفر دائرة صغيرة"[٣].

فيبدو من هذا التفصيل ما لقيه العرب من مشقة وصعوبة في ضبط الأعداد وما جعلوه من مكان واسع لجعل صورة الأحرف.

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ٣/٢١٦.
(٢) طبقات الأمم، ص٢١.
(٣) تاريخ اليعقوبي ١/ ٨٤.

ذكر ابن النديم رسالة لسندي ضمن كلامه على السند، تبنى على التسعة الأحرف المذكورة آنفاً، يقول فيها:

"وذكر هذا الرجل المقدم ذكره أنهم في الأكثر يكتبون بالتسعة الأحرف على هذا المثال، وابتداؤه أب ج د ه و ز ح ط. فإذا بلغ إلى ط أعاد إلى الحرف الأول ونقطته تحته على هذا المثال، فيكون ى ك ل م ن س ع ف ص يزاد عشرة عشرة، فإذا بلغ إلى صاد يكتب على هذا المثال وينقط تحت كل حرف نقطتين هكذا، فيكون ق ر ش ت ث خ ذ ظ فإذا بلغ ظ كتب الحرف الأول من الأصل وهو هذا (آ) ونقط تحته ثلاث نقط هكذا، فيكون قد أتى على جميع حروف المعجم ويكتب ما يشاء"[(١)].

وكذلك كتب البيروني بحثاً مفيداً عن هذه الأعداد الهندية، يقول:

"وليسوا يُجرون على حروفهم شيئاً من الحساب كما نجريه على حروفنا في ترتيب الجمل، وكما أنّ صور الحروف تختلف في بقاعهم كذلك أرقام الحساب وتسمّى (أَنْكُ)، والذي نستعمله نحن مأخوذ من أحسن ما عندهم، ولا فائدة في الصور إذا ما عرف ما وراءها من المعاني، وأهل (كشمير) يرقمون الأوراق بأرقام هي كالنقوش أو كحروف أهل (الصين) لا تعرف إلا بالعادة وكثرة المزاولة، ولا تستعمل في الحساب على التراب"[(٢)].

وأيضاً يقول:

"وممّا اتّفق عليه جميع الأمم في الحساب هو تناسب عقوده على الأعشار؛ فما من مرتبة فيه إلا وواحدُها عشر واحدِ التي بعدها وعشرةُ أضعاف واحد التي قبلها، وقد تتبّعت أمر أسامي المراتب ممّن ظفرت به من الأمم المختصين باللغات فوجدتهم يرجعون فيها من الألوف كالعرب

(١) الفهرست، ص٣٣.
(٢) تحقيق ما للهند، ص٨٢.

وهو الأصوب وبالأمر الطبيعي أشبه، وقد أفردت في ذلك مقالة[١]. وأمّا الهند فإنّهم تجاوزوا مرتبة الألوف في التسمية باختلاف يقتضب فيها بعضٌ ويشتق بعض ويخلط أحدهما بالآخر بعضٌ. وامتدّت الأسامي إلى المرتبة الثامنة عشرة لأسباب ملّية أعان أصحابَها عليها أهلُ اللغة باشتقاق الأسامي، واسم المرتبة الثامنة عشرة (پَرَارْد) أي نصف السماء، وبالتحقيق نصف ما فوق؛ وذلك أن التركيب إذا كان من (كَلْپ) كان واحد تلك المرتبة نهار الله تعالى، وإذ ليس وراء السماء شيء فهو أعظم الأجسام، وشبّه نصفه بنصف أعظم الأيام وبتضعيفه ينضاف ليل إلى نهار ويتمّ اليوم الأعظم، ولا محالة أنّ اسم پَرَارْد يرتفع عنه ويصير (پرار) هو السماء كلّها، فأمّا أسماء المراتب إلى الثامنة عشرة فهي ما في هذا الجدول[٢]:

ا	إيكَنْ	ى	پَدْم
ب	دَشَنْ	يا	خَرْبُ
ج	شَذَنْ	يب	نَخَرْبُ
د	سَهَسْرَنْ	يج	مَهَا پَدْمْ
ه	أَجُوتْ	يد	شَنْك
و	لَكْشْ	يه	سَمُدْرُ
ز	پَرْجت	يو	مَدْهُ
ح	كُوْرَتِيْ	يز	أَنْتُ
ط	نَرْبُدْ	يح	پَرَارد

ثم يذكر اختلافاتهم فيقول:

"وأنا واصف اختلافاتهم؛ واحدُها أنّ بعضهم زعم أنّ وراء (پرارد) تاسعة عشرة تسمّى (بهُورِى) ثمّ ليس وراءها حساب. وليس الحساب بمتناه إلا وضعاً حتى يكون أيضاً لمراتبه نهاية، وكأنّ العبارة بالحساب

(١) لعلها (الحساب والعدّ بأرقام السند والهند) (الأمروهوي).

(٢) تحقيق ما للهند، ص٨٢.

هي عن الاسم. وقد علم أن واحد تلك المرتبة خُمُسُ اليوم الأعظم، ولم ينقل عنهم في هذا الباب شيءٌ خبريّ، وإنّما بقي في الأخبار تركّبُ شيء من اليوم الأعظم كما سنذكر، فهذا إذن من زيادات المتكلّفين، ومنها أنّ بعضهم زعم أنّ غاية الحساب إلى (كُورْتى)، ومنها يعاد إلى إضافته إلى العشرات والمئين والألوف من أجل أن عدد (ديو) فيها، فإنّهم يقولون: إنهم ثلاثة وثلاثون كورتى، ولكل واحد من (براهم) و(ناراين) و(مهاديو) أحد عشر كورتى، فأمّا الأسامي التي بعد الثامنة فإنّما عملها النحويّون لما ذكرنا، ومنها أنّ المشهور عندهم في الخامسة (دَش سَهَسْر) وفي السابعة (دَشَ لكش)، لأنّ ما ذكرنا من اسميهما يقل في الاستعمال، وفي كتاب (آرجَبهد الكُسَمپوريّ) أسماء المراتب من عند عشرات الألوف إلى عشرات كُورْتى هكذا: "اَجُوتَم، نجُوتَم، پَرجُوتَم، كُوتى پِذْم، پَرپَذم". ومنها أنّ بعضهم يزاوج بين كثير منها فتسمى السادسة (نَجُوت) نسقاً على اسم الخامسة، وتسمّى الثامنة (اَربُد) فينسق عليها التاسعة، كما أنّ الثانية عشرة على الحادية عشرة منسوقة، وتسمّى الثالثة عشرة (شنك) والرابعة عشرة (مها شَنْك). وكان القياس يوجب أن يتلو (مها پَذم)؛ وهذا من اختلافاتهم مما له محصول، والذي لا محصول له كثير ومتولّد من إملاء الأسامي غير مراعى فيها الترتيب أو من بغض لفظةِ (لا أدري) فإنّها تثقل على كلّ منسوق، والمنقول لنا من (پلس سدّهاند) بعد (سهسرن) الرابعة هي (اَيُوتن)، الخامسة (نيُوتن)، السادسة (پريُوتَن)، السابعة (كوتى)، الثامنة (اَربدن)، التاسعة (خَرْب)، العاشرة وما بعدها على ما في الجدول المتقدّم؛ وأما استعمال الأرقام في الحساب فعلى الرسوم التي عندنا. وقد عملت مقالة فيما عسى يكون عندهم فيها من زيادة، وتقدّم من إخبارنا عنهم أنّهم ينظمون الكتب (شلوكات) فإذا احتاجوا أن يعبّروا في زيجاتهم عن عدد في مراتب عبّروا عنه بكلمات موضوعة لكلّ عدد في مرتبة أو مرتبتين، لكنّهم قد وضعوا لكلّ عدد عدّة كلمات، حتى إن عسر إيراد

كلمة في موضع أبدلت بما يسهل من أخواتها، قال (برهمكوپت): إذا أردتم أن تكتبوا واحداً فعبروا عنه بكلّ شيء هو واحد كالأرض والقمر، وعن الاثنين بكل ما هو اثنان كالسواد والبياض، وعن الثلاثة بكل ما يحوي الثلاثة، وعن الصفر بأسماء السماء وعن الاثني عشر بأسماء الشمس، وقد أودعت الجدول ما كنت أسمعه منهم، فإنّه أصل عظيم في حلّ زيجاتهم"[(١)].

تقبله العرب قبولاً حسناً، إذ قاموا بتأليف كتب مستقلة بهذا الموضوع في مختلف عصورهم، وتدل الروايات على أن خاصتهم وعامتهم كانوا واقفين على هذا الحساب، فقد تعلّمه أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (م٤٢٨)، كما يقول هو، على بقّال من بقّالي حارته[(٢)].

وممن يجدر بالذكر من المسلمين الذين قاموا بتأليف كتب مستقلة بهذا الموضوع:

١- أبو نصر محمد بن عبد الله الكلوذاني: كان ممن عاصر ابن النديم صاحب (الفهرست). من مؤلفاته (البحث في الحساب الهندي)[(٣)].

٢- أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي: كان بارعاً في العلوم الطبيعية. من مؤلفاته (رسالة في استعمال الحساب الهندي). وهي تشمل عشر مقالات[(٤)].

٣- أحمد بن عمر الكرابيسي: يُعدُّ من كبار المهندسين والمهرة في الحساب في القرن الثالث الهجري. صنّف كتاباً باسم (الحساب الهندي)[(٥)].

---

(١) تحقيق ما للهند، ص٨٢-٨٤.
(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢/٢.
(٣) الفهرست، ص٤٠٢.
(٤) تاريخ الحكماء، ص٧٩.
(٥) الفهرست، ص٤٠٦.

٤- **سنان بن الفتح**: يعدُّ من البارعين في الحساب. قام بتأليف كتاب في هذا المجال باسم (التحت في الحساب الهندي)[١].

٥- **أبو القاسم علي بن أحمد الأنطاكي المجتبى**: من علماء القرن الرابع الهجري للحساب. له مؤلف جدير بالذكر يسمَّى (التحت الكبير في الحساب الهندي)[٢].

٦- **محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي**: من مهندسي القرن الرابع الهجري. كتب صفحات تحت عنوان (حساب الهند). وبما أننا لا نجد كتاباً قام بتأليفه العرب في هذا الموضوع فنذكر ملخص ما كتبه الخوارزمي في كتابه (مفاتيح العلوم)، وستقدر من هذا مدى رغبة العرب في علوم الهند ولا سيما الحساب الهندي:

"إن للحساب الهندي تسع صور التي تجعل منها أعداد لا نهاية لها. مراتبها أربع؛ أحد، عشرة، مئة، ألف؛ فالأحد يقوم مقام عشرة ومئة وألف وعشرة آلاف ومئة ألف وألف ألف، والثاني يقوم مقام عشرين ومئتين وألفين وعشرين ألفاً ومئتي ألف وألفي ألف وما فوقها، وقس على هذا كل الصور، وفيما يلي جدول يدلّ على ما قلنا وهو:

9	8	7	6	5	4	3	2	1
9	80	70	60	50	40	30	20	10
900	800	700	600	500	400	300	200	100
9000	8000	7000	6000	5000	4000	3000	2000	1000

والدوائر الصغيرة هي التي يقال له (صفر)، وهي تجعل حيث لا عدد فهي تحفظه. فإن تجاوزت الأعداد صور الآلاف فدرجتها تكون حسب الأحد، ثم الذي يتصل به يكون على درجة عشرة، والذي يتصل بعشرة

(١) تاريخ الحكماء، ص٢٣٤.
(٢) كشف الظنون، ص١٧٥٦.

يكون على درجة مئة، وإن تجاوزت الأعداد الألف فهي تكون حسب تلك القاعدة، وقس على هذا صور كافة الأعداد وتقرأ مثلاً: ٩٨٧٦٥٤٣٢١ تسع مئة وسبعة وثمانون ألف ألف وست مئة وأربعة وخمسون ألفاً وثلاث مئة وواحد وعشرون. وذلك لأن واحداً في درجة الأحد فهو واحد، اثنين في درجة عشرة فهو عشرون، ثلاثة في درجة مئة فهو ثلاث مئة، أربعة في درجة ألف فهو أربعة آلاف فصاعداً»[(١)].

وبما أن العرب لا يمتلكون أي عدد فوق ألف فجعلوا يضربونه في الألف. وعلى العكس من ذلك فإن الهنود لديهم أسماء لكل درجة تختص بها.

وبما أن العرب لا يمتلكون أي اسم خاص لدرجة ما قبل الألف فيضربونه في العدد، وأما الهنود فعندهم اسم خاص لكل درجة حتى ١٩ درجة.

٧- **أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري**: كان من أشهر المؤرخين وكانت له اليد الطولى في الرياضيات. ومما يجدر بالذكر من مؤلفاته في هذا الموضوع (البحث في حساب الهند)[(٢)].

٨- **سني علي اليهودي**: يكنى أبا الطيب. كان يهودياً فأسلم على يد المأمون. صنف كتاباً باسم (الحساب الهندي)[(٣)].

٩- **الحسن بن حسن بن الهيثم**: من مهندسي القرن الخامس الهجري. من مؤلفاته علل الحساب الهندي[(٤)].

١٠- **علي بن أحمد النسوي**: من مهندسي القرن العاشر الهجري. قام

---

(١) مفاتيح العلوم، ص١١٢.

(٢) الفهرست، ص١٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٩٧.

(٤) تاريخ الحكماء، ص١٦٨.

بتأليف كتاب قيم في هذا الموضوع باسم (المقنع في الحساب الهندي)[١].

رابعاً: علم الجبر (Algebra)

لا شك في أن العرب فاقوا غيرهم في وضع علم الجبر. يبدو من فهرست ابن النديم أنهم ترجموا كتابين في هذا المجال من اليونانية، أحدهما لذيوفانتيس، والآخر لأبرخس[٢]. ولكن التحقيق الحديث أثبت أن هذين الكتابين ليس لهما قدر يذكر في مجال الجبر، بل وضعه العرب أنفسهم، ولكن من المعترف به أنهم فعلوا هذا حينما وقفوا على الأعداد الهندية. فقد كانوا عارفين بأصول ومبادئ هندسة اليونان وحسابهم، ولما عرفوا الأعداد الهندية وضعوا علماً جديداً على أساسهما وسموه (علم الجبر).

والكتاب الشهير الذي تم تأليفه في هذا العلم في العهد الإسلامي هو (كتاب الجبر والمقابلة) الذي قام بتأليفه الخوارزمي الذي كان على علم بمبادئ جبر اليونان والهند وإيران، ومستعيناً بهذه المبادئ أوجد علم الجبر مثلما فعل في وضع زيجه بناءً على أفكار الهند وإيران واليونان فيه[٣].

خامساً: علم الفلك والنجوم (Astronomy & Astrology)

هذان العلمان يتعلقان بالهنود، وخاصة علم النجوم؛ فله أهمية دينية عندهم فلن يمكن لأحد أن يعدَّ منجماً ما لم يقف على أصول وأحكام النجوم ولو كان يقدر على حلِّ عقد الحساب خير قدرة[٤].

---

(١) عرب وهند كي تعلقات، ص١٣٦.
(٢) الفهرست، ص٣.
(٣) تاريخ التمدن الإسلامي ٣/٢١٧.
(٤) تحقيق ما للهند، ص٧٣.

لا يوجد أي أثر لهذا العلم عند العرب قبل الإسلام، بل كان فيهم علم يسمّى (التنجيم) (Natural Astronomy)، ولكنه لم يكد ينال درجة علمية عندهم كما حدث مع علوم الجاهلية الأخرى فكان هذا العلم مبنياً على تجاربهم. عرف العرب درجتها العلمية في بدايات القرن الثاني الهجري وذلك حينما اتصلوا بالهنود. قدّم المستشرق فللينو بحثاً مشبعاً في هذا الباب فهو يقول:

"إن لكتب الهندوس دوراً بارزاً في تطور علم الفلك المبكر في العرب، فقد قام العرب بوضع أصول وطرق لحل قضايا علم الفلك المتعددة، لم يقف عليها اليونانيون من قبل"[(١)].

ثم يقول بعد كلام طويل:

"يتضح من بحثي السالف الذكر أن أثر الهند وإيران في تطور ميل العرب إلى هذا العلم العظيم من أثر اليونان فيهم، ولو أن هذه الفترة الوسط قليلة للغاية"[(٢)].

برهم سدهاند

إذن تقرّر أن العلم قد جاء المسلمين عن طريق الهند، والمصدر الأول لهذا كتاب (برهم سدهاند)[(٣)] السنسكريتي الذي قام بتأليفه برهم غبت

---

(١) علم الفلك وتاريخه عند العرب، ص١٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٢١٤.

(٣) ذكر العرب معنى (سند هند) دهر الدهور ولكنه دهر الدهر، يشير إلى هذا المعنى البيروني، قائلاً:
"والذي يعرفه أصحابنا سند هند هو سدهاند أي المستقيم الذي لا يعوج ولا يتغير، ويقع هذا الاسم على كل ما علت رتبته عندهم من علم حساب النجوم" (تحقيق ما للهند، ص٧٣).

(Braham Gupt) الفلكي الكبير والمنجم الماهر الهندي. يروى أنه صنّف هذا الكتاب في عمر يبلغ ثلاثين سنة[١]، وفي القرن السادس الهجري قدّمه إلى الحاكم دياگهر موكها (Dayagharmukha) من سلالة سري جابا (Sri Japa). ذكره المؤرخون العرب باسم (فيغر). يقول القفطي عن وصول هذا الكتاب إلى بغداد:

"إن وفداً من الهند وفد على أبي جعفر المنصور سنة ١٥٤ وفيهم رجل ماهر في معرفة حركات الكواكب وحسابها، وسائر أعمال الفلك على مذهب علماء أمته، وخصوصاً على مذهب كتاب باللغة السنسكريتية اسمه (بَرَاهْمَسْبُهُطَسِدْهَانْتْ) ألفه سنة ٦٢٨م أو (٦ و ٧) هجرية الفلكي الرياضي (برهمكبت) فكلف المنصور ذلك الهندي بإملاء مختصر الكتاب، ثم أمر بترجمته إلى اللغة العربية، وباستخراج كتاب منه تتخذه العرب أصلاً في حساب حركات الكواكب، وما يتعلق به من الأعمال. فتولى ذلك الفزاري، وعمل منه زيجاً اشتهر بين علماء العرب، حتى إنهم لم يعملوا إلا به إلى أيام المأمون حيث ابتدأ مذهب بطليموس في الحساب والجداول الفلكية"[٢].

ونجد مزيد البيان عن هذا لدى القاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي فهو يقول:

"فمن مذاهب الهند في علوم النجوم المذاهب الثلاثة المشهورة؛ وهي مذهب السند هند، ومذهب الأزجير، ومذهب الأركند، ولم يصل إلينا منهم على التحصيل إلا مذهب السند هند، وهو المذهب الذي تقلده جماعة من الإسلام وألفوا فيه الأزياج كمحمد بن إبراهيم الفزاري،

---

(١) تحقيق ما للهند، ص٢٥٧.

(٢) تاريخ الحكماء، ص٢٧٠.

وخشر بن عبد الله البغدادي، ومحمد بن موسى الخوارزمي، والحسين بن محمد المعروف بابن الآدمي وغيرهم. وتفسير السند (الدهر الداهر) كذلك حكى الحسين بن الآدمي في زيجه.

تقول أصحاب (السند هند): إن الكواكب السبعة وأوجاتها وجوزهراتها تجتمع كلها في رأس الحمل خاصة في كل أربعة آلاف ألف ألف سنة، وثلاث مئة ألف ألف سنة، وعشرين ألف ألف سنة. ويسمون هذه المدة مدة العالم لأنهم يزعمون أن الكواكب وأوجاتها وجوزهراتها متى اجتمعت في رأس الحمل، فسد جميع المكونات في الأرض وبقي العالم السفلي خراباً دهراً طويلاً حتى تتفرق الكواكب والأوجات والجوزهرات في البروج، فإذا كان كذلك بدأ الكون وعادت حالة العالم السفلي إلى الأمر الأول هكذا أبداً إلى غير غاية عندهم. ولكل واحد من الكواكب والأوجات والجوزهرات أدوار ما في هذه المدة التي هي عندهم مدة العالم قد ذكرت في كتابي المؤلف لإصلاح حركات النجوم"[1].

وذكره البيروني في غير موضع من تأليفه (تحقيق ما للهند...) وقدَّم فهرساً لمحتوياته[2]. والواقع أن العرب، كما قال فللينو، قد تعلموا علم الفلك من هذا الكتاب قبل نشر كتب بطليموس وفيثاغورث، ومن المؤسف للغاية أن ترجمته العربية لا توجد اليوم، إلا أن نسخته السنسكريتية، كما قال سخاو (Sakhau)، موجودة، ولكن لم تطبع حتى الآن، وفي ١٨٧٧م قام بنشر ترجمة بعض أجزاء الكتاب المتعلقة بالرياضيات، ثم قام سدهاكرد ديفي (Sidhakard Devi) بنشر أصله السنسكريتي.

---

(١) طبقات الأمم، ص٢١.

(٢) تحقيق ما للهند، ص٧٤.

أرجبهذ

هذا آخر كتاب هندي تم نقله إلى العربية بعد برهم سدهاند. قام بتأليفه أشهر منجمي الهند آريه بهت (Arya Bhat). طبع الدكتور كرن جرمني (Karan Jarmani) هذا الكتاب مع شرحه باسم (آريه بهتام) (Arya Bhatam) في ١٨٧٤م. قال فيه آريه بهت إنه ولد في ٤٧١م، وكان من سكان بتنه (Patna)، جعل يؤلف الكتب والرسائل في عمر بلغ ٢٣ سنة. وكتاب أرجبهذ، الذي هو آخر مؤلفاته، يشمل ثمانية عشر باباً، وهو كتاب قيم في علم الرياضيات والنجوم.

وزعم العرب أنه مأخوذ من (برهم سدهاند)، لكن هذا لا أصل له ولا أساس؛ لأن آريه بهت كان قد مات قبل برهم صاحب (برهم سدهاند) بقرنين. ويرجع سوء الفهم هذا إلى يعقوب بن طارق، فاتبعه الآخرون. يقول القاضي صاعد الأندلسي:

"وأما أصحاب (الأزجير) فإنهم وافقوا أصحاب السند هند إلا عدد مدة العالم، فإن مدتهم التي ذكروها أن الكواكب وأوجاتها وجوزهراتها تجتمع عندهم في رأس الحمل من جزء من ألف مدة السند هند، وذلك عندهم مع تفسير الأزجير"[١].

ومن المتأخرين من تبعه في هذا هو الشيخ عبد الرزاق الكانفوري بل زاده عجباً بحيث قال:

"كانت قسمة الدهر في (سدهاند) حسب كالب (Kalp) (يعدل كالب أربعة ملايين و ٣٢٠ ميلوناً) وكان يصعب على الرجل تقدير الزمن حسبه فقد قام آريه بهت (أرجاباد/ آرياباد) أشهر مهندسي الهند في القرن

---

(١) طبقات الأمم، ص٢١.

الخامس الميلادي، بتصريف فيها، وألّف كتاباً مستقلاً بهذا الموضوع يسمَّى باسمه (آريه بهت) يذكره العرب بأرجبهد أو أرجبه. ترجمه أبو الحسن الأهوازي إلى اللغة العربية. بنى هذا المهندس الهندي حسابه على جغ (Jag) (يعدل جغ جزءاً من ألف جزء لكالب) بدلاً من كالب. يسمِّيه العرب بـ (سني أرجبهذ) كما يسمُّون كلب بـ (سني السند هند)"[١].

والعجب من أن هذا المحقق الكبير لم يلتفت إلى أن مؤلف (سدهاند) لم يكن مولوداً حينما تم تأليف أرجبهذ، فلم يمكن لمؤلَّف متقدم أن يغير شيئاً من المؤلَّف المتأخر، ومع هذا فلا يصح أن قسمة الدهر في سدهانت تبنى على أساس كالب، كما أنها تؤسس على جغ في أرجبذ. قضى البيروني على سوء الفهم هذا قائلاً:

"ومن العجائب أن الفزاري ويعقوب ربما سمعا من الهندي في الأدوار أنه حساب (سدهاند) الكبير وأن حساب (أرجبهد) على جزء من ألف جزء منه، فلم يفهما منه حق الفهم، وظنا أن أرجبهد هو اسم الجزء، والهند يخرجون هذا الدال فيما بينهما وبين الراء، فانتقل إلى الراء وصار (أرجبهر) ثم صحَّف من بعدهم وصير الراء الأولة زاياً، فإن أعيد إلى الهند لم يعرفوه"[٢].

خاندا خادياكا (Khanda Khadyaka)

والكتاب الهندي المهم بعد برهم سدهاند وأرجبهذ هو خاندا خادياكا كران خاند. اسمه العربي الأركند. يكشف البيروني القناع عن الباعث على تسميته بأن خاندا خادياكا اسم لإحدى حلويات الهندوس. وضع سكريم دشمني زيجاً سماه (دو ساغر) (:Dosagar بحر الروبة) ثم وضع أحد

(١) البرامكة، ص٢٤٠.

(٢) تحقيق ما للهند، ص٢١١.

تلاميذه زيجاً سمّاه (كور ببيا) (Kaur Babya: جبل الأرز) ثم ألّف اند كتاباً سمّاه بـ (لون مشت) (Lone Musht: ملح قدر الكف) فسمّى برهم غبت كتابه نسبة إلى الحلوى لكي يتم الطعام[١].

هذا زيج أشهر من قفا نبك. يفضله المنجمون الهندوس على غيره. قام بتأليفه برهم غبت، وقد وضعه بعد تأليف سدهاند[٢]. وضع فيه أصولاً غير أصول السدهانت. ترجمه إلى العربية أولاً يعقوب بن طارق (١٥٤-١٦١هـ) ثم راجع فيها النظر البيروني وصححها؛ وذلك بأنها كانت غير واضحة[٣].

كتب سخاو أنه لا توجد أي نسخة خطية للترجمة العربية في أي من مكتبات أوربة إلا أن الأصل السنسكريتي موجود حتى الآن.

براهمر (Virahamira)

هو من أشهر منجمي الهند وفلكييها. عاش في بداية القرن السادس الميلادي. وكان ممن كان يعتقد بكروية الأرض. لكتبه مساهمة كبرى في تطوير العلوم في العهد الإسلامي[٤]. ذكره البيروني في غير موضع من كتابه (تحقيق ما للهند...).

من كتبه التي تم نقلها إلى العربية ما يلي:

١- بانتش سدهانتيكا (Panchasiddhantika): هذا زيج موجز قال عنه البيروني إنه يحتوي على كافة البحوث التي جاء ذكرها في السدهاندات

---

(١) المصدر نفسه، ص٧٤.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٢٥.
(٣) راجع فهرس كتب ورسائل البيروني المذكور في الآثار الباقية.
(٤) تاريخ علوم عقلي در تمدن إسلامي، ص١١٢.

الخمسة، ولكنه ليس بواقع، ومع هذا فهو خير منها وأصح[١]. لم نقف على من قام بترجمته إلى العربية.

٢- برهت سنهتا (Brihitsanihita)

٣- لغهوجاتاكم (Laghujatakam)

قام البيروني بترجمتهما إلى العربية[٢].

سادساً: علم المواليد (Horoscope)

هذا فرع من فروع علم النجوم. يوجد أثره في الهند منذ القدم. يُسمَّى بـ (جاتك) (Jatuk) بالسنسكريتية. من الكتب السنسكريتية التي تمت ترجمتها إلى العربية ما هو مذكور في الآتي:

١- أسرار المواليد لكنكا الهندي[٣].

٢- كتاب المواليد لغودر الهندي[٤].

٣- كتاب المواليد الكبير لسنغهل الهندي[٥].

٤- كتاب المواليد لبراهمر: قال عنه البيروني: إن لهذا المؤلف كتابين في هذا العلم، أحدهما كبير والآخر صغير، شرحهما بليهدر، قمت بترجمة كتابه الصغير إلى العربية[٦].

(١) تحقيق ما للهند، ص٧٣.
(٢) راجع مقدمة سخاو لكتاب تحقيق ما للهند.
(٣) الفهرست، ص٣٩٢.
(٤) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢/ ٣٢.
(٥) الفهرست، ص٣٩٢.
(٦) تحقيق ما للهند، ص١٧٥.

بدأ المسلمون يؤلفون كثيراً في هذا العلم بعد ترجمة الكتب الثلاثة الأوائل . ذكر ابن النديم مثل هؤلاء الكتاب تحت عنوان (طبقة المحدثين من المهندسين وأصحاب الحيل والأعداد). من يجدر بالذكر منهم[١] :

١- محمد بن عمر بن حفص الفرخان الطبري: ذكر ابن النديم ثلاثة كتب له في هذا العلم[٢].

٢- أبو سهل فضل بن نوبخت.

٣- سهل بن يشير.

٤- الحسن بن إبراهيم الأسج معاصر المأمون.

٥- ابن البازيار محمد بن عبد الله بن عمر تلميذ حبش بن عبد الله: له كتابان في هذا العلم.

٦- خرزاد بن دارشاد الحاسب.

٧- الحسن بن الخطيب.

(١) الفهرست، ص٣٩٢.
(٢) أخبار الحكماء، ص٢٨٤.

العلماء والكتّاب الذين عنوا بذكر علوم الهند ونقلها

وفي الختام لا بد من ذكر الكتّاب المسلمين الذين تعدُّ مؤلفاتهم مصادر عن العلوم الهندية، والذين استفادوا من الكتب الهندية مباشرة أو من دون مباشرة.

أبو ريحان البيروني

إن أبا ريحان البيروني يجدر بأن يكتب اسمه بماء الذهب بشأن ضبط علوم الهند ونقلها إلى العربية والتعريف بحضارتها وثقافتها؛ فهو يتفرد بأنه لم يقنع بما راج من العلوم في عصره كعادة معاصريه، فأراد أن يوسع نطاق معرفته ودائرة فكرته ولو أن المسلمين قد ازدهروا كثيراً حتى زمانه وجعلوا يؤلّفون وينجزون في مختلف المواضيع، ولكنهم كانوا عاكفين على العلوم اليونانية ظانين أنها مصادر حقة كافية للعلوم والمعارف. تربّى البيروني في هذه البيئة وتعلّم - على عادة العصر - علوم اليونان، ولكن ينابيع المعارف هذه لم تشف غليله ولو شفت غليل الآخرين.

كان قد سمع عن ذكر الهند الرفيع في مجال الفلسفة والحكمة، وقرأ كتب السنسكريتية التي تم نقلها إلى العربية. ألقى نظرة خاطفة على هذه التراجم العربية فعرف قدرها ومنزلتها، وارتحل إلى الهند لكي يتروّى من منهلها. وما لقيه البيروني من صعوبات في هذه البلاد يمكن تقديرها مما نراه من إخفاء البراهنة علومهم على إخوتهم فماذا يصيب البيروني بهذا الشأن. واجه البيروني هذه الصعوبات كلها ونجح فيما جاهد فيه؛

فتعلم السنسكريتية بعدما أقام بها لمدة غير قصيرة وبرع فيها إلى حد أصبح قادراً على ترجمة الكتب العربية إلى السنسكريتية وعلى العكس.

وأما قصة تعلّمه السنسكريتية فهي مروية بلسانه إذ يقول: إني كنت أكرّر كلمة لكي أتعلمها جيداً وأتلفظها بصحة مخارجها، ولكن هؤلاء الهندوس لم يفهموا كلامي. إني بذلت كل جهدي لتعلم هذه اللغة". ويمضي قائلاً:

"إني كنت أقف من منجميهم مقام التلميذ من الأستاذ لعجمتي فيما بينهم وقصوري عما هم فيه من مواصفاتهم، فلما اهتديت قليلاً لها أخذت أوقفهم على العلل، وأشير إلى شيء من البراهين، وألوح لهم الطرق الحقيقية في الحسابات، فانثالوا عليّ متعجبين وعلى الاستفادة متهافتين، يسألون عمن شاهدته من الهند حتى أخذت عنه؟ وأنا أريهم مقدارهم وأترفع عن جنبتهم مستنكفاً، فكادوا ينسبونني إلى السحر ولم يصفوني عند أكابرهم بلغتهم إلا بالبحر والماء يحمض حتى يعوز الخلُّ، فهذه صورة الحال. ولقد أعيتني المداخل فيه مع حرصي الذي تفردت به في أيامي، وبذلي الممكن غير شحيح عليه في جمع كتبهم من المظان واستحضار من يهتدي لها من المكامن، ومن لغيري مثلُ ذلك إلا أن يرزق من توفيق الله ما حرمته في القدرة على الحركات عجزت فيها عن القبض والبسط في الأمر والنهي طُوي عني جانبها، والشكر لله على ما كفى منها..."[1].

مؤلفاته

إن لمؤلفات البيروني فهرساً طويلاً. ذكر ياقوت الحموي في كتابه طرفاً من كتبه لدى ذكر ترجمته ثم قال:

---

(١) تحقيق ما للهند، ص١٢.

"وأما سائر كتبه في علوم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فإنها تفوق الحصر"[(١)].

وقال: إني رأيت في جامع المرو فهرس مؤلفاته الذي هو مضبوط في ستين ورقة.

أهم وأفضل ما قام بتأليفه من الكتب في علوم الهند هو (تحقيق ما للهند) الذي طبع أولاً في ١٨٨٧م بتصحيح قام به سخاو، ثم أصدرت دائرة المعارف بحيدرآباد طبعة ثانية. ترجمه سخاو إلى الإنجليزية وتم طبعها في ١٨٨٨م. يزداد الكتاب أهمية ومنزلة؛ إذ إن الكتب التي قرأها البيروني وأخذ مسائلها معظمها ذهب بها الدهر، ولكن قضاياها ومباحثها موجودة مضبوطة حتى الآن، وهي بمجرد فضل البيروني الذي صانها عن الضياع وبلّغها العلماء، ومع ذلك فإن البيروني يهتم بمؤلَّفه من جهة أخرى، وهي أن التراجم العربية للكتب السنسكريتية كانت مظنة للأخطاء والزلات؛ إما لأن نصوصها كانت مشوبة بالتصحيف أو لأن المترجمين لم يفهموها جيداً، فأصلحها البيروني ولفت أنظار العلماء إليها. نذكر، على سبيل المثال، إصلاحاً منه في الأوزان، فهو يقول:

"وفي كتاب (چرك) من هذه الأوزان ما سأحكيه ناقلاً من النسخة العربية لم أتلقفه من لسان، وما أظنه إلا فاسداً فساد سائر الأشياء التي أعرفها؛ فإن هذا في خطّنا ضروري، وخاصة عند أهل زماننا الذين لا يهتمون لتصحيح ما ينقلون"[(٢)].

وهكذا كشف القناع عن أخطاء يعقوب بن طارق والفزاري كما قام بتصليحها. وعلاوة على هذا التأليف الكبير فله مؤلفات أخرى في هذا الموضوع نشير إليها بإيجاز:

---

(١) معجم الأدباء ١٧/ ١٨٥-١٨٨.
(٢) تحقيق ما للهند، ص١٧٧.

١- جوامع الموجود لخواط الهنود:

وهو استعراض شامل لسدهاند برهم غبت الذي كان متداولاً بين الناس في عصره. يبدو أن ترجمته التي تمت في العصر العباسي كانت غير جيدة وجديرة بأن تراجع. فالكتاب يسلط الضوء على هذا الجانب من سدهاند. يشمل هذا الاستعراض خمس مئة صفحة.

٢- بولس سدهاند (Paulisi Siddhanta):

هذا الكتاب ينتسب إلى بولس اليوناني الذي كان من أهالي مدينة سنتر[١].

٣- برهم سدهاند (Brahma Siddhanta):

كانت ترجمتا هذين الكتابين غير تامتين حتى تأليف (تحقيق ما للهند)[٢]، فقد كتب البيروني عن بولس سدهانت أن هذا الكتاب لم ينقل بتمامه إلى العربية وذلك لأن القضايا العلمية المذكورة فيه تميل إلى الدين وتصطبغ بصبغته[٣].

٤- تهذيب زيج الأركند:

هذه ترجمة عربية لـ(خاندا خاديكاكرن خاند) الذي كتبه برهم غبت. قال عنها البيروني إن ترجمته المتداولة غير صالحة للفهم كما تركت الكلمات الهندية فقمت بترجمتها بلساني[٤]. وقال في موضع آخر: إني قمت بوضع هذا الزيج لسيادبل الكشميري وسميته بـ (كند كاتك العربي)[٥].

---

(١) المصدر نفسه، ص٧٣.
(٢) المصدر نفسه، ص٧٣.
(٣) المصدر نفسه، ص٧٣.
(٤) المصدر نفسه، ص١٨٨.
(٥) تاريخ التمدن الإسلامي ٣/ ١٧٩.

٥- خيال الكسوفين عند الهند:

هذا كتاب موجز عن الحساب الهندي للكسوف والخسوف. عرّف البيروني هذا الكتاب بكلماته التالية:

"وعملت كتاباً في المدارين المتحدين والمتساويين، وسميته بخيال الكسوفين عند الهند، وهو معي مشتهر فيما بينهم لا يخلو منه زيج من أزياجهم وليس بمعلوم عند أصحابنا"[(١)].

٦- تذكرة في الحساب والعدّ بأرقام السند والهند:

هذه الرسالة تدل على حساب وعدّ الأرقام للسند والهند. إنها تشتمل، كما قال البيروني، على ثلاثين ورقة[(٢)].

٧- كيفية رسوم الهند في تعلم الحساب[(٣)].

٨- تذكرة في أن رأي العرب في مراتب العدد أصوب من رأي الهند فيها[(٤)]:

هذه رسالة موجزة تنطق عن صواب رأي العرب من رأي الهند في مراتب العدد.

٩- رسالة راشيكات الهند:

هذه رسالة تتحدث عن التناسب (The Rule of Three). توجد نسخة له في مكتبة إنديا آفس بلندن[(٥)]، وقد طبعت مؤخراً عن حيدر آباد.

---

(١) تحقيق ما للهند، ص٧٠.
(٢) المصدر نفسه، ص٧٠.
(٣) تاريخ التمدن الإسلامي ١٧٩/٣.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.

١٠- ترجمة ما في براهم سدهاند من طرق الحساب[١]:

هذه ترجمة طرق الحساب المذكورة في سدهاند برهم غبت.

١١- مقالة في تحقيق الآن من الزمان عند الهند[٢]:

هذه الرسالة تحقيق للآن (Present Movement) حسب علم الأوقات عند الهنود.

١٢- مقالة في تحقيق منازل القمر[٣]:

هذه الرسالة تدل على منازل القمر المختلفة.

١٣- مقالة في الجواب على المسائل الواردة من منجمي الهند[٤]:

هذه الرسالة مجموع أجوبة عن الأسئلة التي أوردها المنجمون الهندوس.

١٤- جوابات مسائل ده گانه علمائي كشمير[٥].

١٥- مقالة في حكاية طريقة الهند في استخراج العمر[٦]:

هذه الرسالة تدل على طريقة الهند في استخراج العمر.

١٦- ترجمة برهت سنهتا (Brihatsanihita).

١٧- ترجمة لغهوجاتاكم (Laghujata Kam):

هذان المؤلفان من عمل فلكي الهند الشهير فاراهامي هيرا

---

(١) آداب اللغة العربية ٢/ ٣٤٧.

(٢) تاريخ التمدن الإسلامي ٣/ ١٧٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) راجع مقدمة سخاو لكتاب تحقيق ما للهند.

(٦) المصدر نفسه.

(Varahamihira)[١]، فتسمّى ترجمة الكتاب الثاني بـ (مواليد صغير)، وظنّه بعض أهل التحقيق والبحث كتاباً آخر دون لغهوجاتاكم، والحال أن هذا الاسم ترجمة الاسم الحقيقي.

١٨- قصة نيلوفر[٢].

١٩- ترجمة كالب ياره (Kalpayara)[٣]:

هذه رسالة تم تأليفها بالسنسكريتية وهي تدل على الأمراض المتعفنة.

٢٠- مقالة في باسديو (Vasudeva)[٤]:

هذه الرسالة تلقي الأضواء على ظهور فاسوديفا النهائي.

٢١- ترجمة سامكه (Samkhya Sutras)[٥]:

هذا الكتاب تم تأليفه بقلم كاپيلا (Kapila) الذي نادى بفلسفة سانخيه (Sankhya Philosophy). يرجع عصره إلى القرن السادس قبل المسيح[٦]. وهو يتحدث عن خصائص الموجودات والمبادي[٧].

٢٢- ترجمة پاتنجلي (Patanjali):

هذا الكتاب يدل على نجاة الروح من البدن فهو يشتمل، كما قال البيروني، على معظم أصول الهندوس التي تنحصر فيها معتقداتهم[٨].

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) فلسفة الهند، ص٨٢.
(٧) تحقيق ما للهند، ص٤.
(٨) المصدر نفسه.

محمد بن إبراهيم الفزاري

من أفاضل علماء الفلك في العصر العباسي. وهو أول مسلم رغب في علم النجوم. قام بترجمة سدهاند العربية لبرهم غبت امتثالاً لأمر المنصور. تعرف هذه الترجمة بـ (السند هند الصغير). تداوله العرب وعملوا به منذ ذلك الزمان حتى الخليفة المأمون بن الرشيد[١].

يعقوب بن طارق

من أفاضل المنجمين. قام بتأليف عديد من الكتب في هذا العلم. ومن كتبه ما يجدر بالذكر في هذا الباب هو (كتاب الزيج محلول من السند هند درجة درجة). هذان كتابان أحدهما في علم الفلك والآخر في علم الدول[٢]. قال البيروني عن زيجه:

"وفي زيج الفزاري ويعقوب بن طارق الأدوار مستفادة عن الرجل الهندي الذي كان في جملة وفد السند على المنصور في سنة أربع وخمسين ومئة للهجرة، وإذا قسنا بينهما وبين ما عليه الهند، وجدنا بينهما خلافات لست أعرف سببها أهو من نقل الرجلين؟ أم هو من إملاء الهندي، أم هو من تصحيح برهمكوبت أو غيره لها..."[٣].

وله كتاب آخر وهو (تركيب الأفلاك) الذي دلّ عليه البيروني ذاته. قائلاً:

"والذي كان وقع إلينا من أخبارهم عن أبعاد الكواكب هو ما ذكره يعقوب بن طارق في كتابه في (تركيب الأفلاك): وقد استفادها عن

(١) تاريخ الحكماء، ص٢٧٠.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٧٨.
(٣) تحقيق ما للهند، ص٢٨٠.

الهندي في سنة إحدى وستين ومئة للهجرة، وقنّن فيه أصلاً هو: أن الإصبع ستُّ شعيرات بالعرض مصفوفة، والذراع أربع وعشرون إصبعاً، والفرسخ ستة عشر ألف ذراع، لكن الهند لا يعرفون الفرسخ، فهذا المقدار كما قدّمنا نصف (جوژن)(١).

أحمد بن عبد الله حبش البغدادي

من أبرز علماء الفلك والنجوم. عاصر الخليفة المأمون والمعتصم. له ثلاثة زيجات أولها على منوال سدهاند، خالف فيه الفزاري والخوارزمي في الأعمال الفلكية وتبع أسلوب الحكيم ثين (Theen) الإسكندراني في استعمال حركة فلك البروج المقبلة والمدبرة؛ وذلك لكي يصحح مواضع طول الكواكب. قام بوضع هذا الزيج حينما كان يتبع طريقة سدهاند(٢).

محمد بن موسى الخوارزمي

كان من كبار منجمي عصر المأمون. استفاد من علوم الهند وإيران والروم فنال صيتاً ذائعاً. قام بتلخيص (سدهاند) في العربية، الذي يسمَّى بـ (السند هند الصغير). بنى كلامه على (أوساط الكواكب) لسدهاند ولكن اتبع إيران في قضية التعاديل كما اتبع بطليموس في ميل الشمس. قدّم له بأبواب ترفع عنه قصر يده في علم الهندسة وعلم الفلك. قال القفطي: "إن أتباع سدهاند تقبلوه وتداولوه فيما بينهم حتى يرجع إليه من يريد حل قضية التعديل في زماننا"(٣).

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٣٣.
(٢) تاريخ الحكماء، ص١٧٠.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٧٠.

محمد بن إسحاق السرخسي

كان من أشهر منجمي عصر المأمون. كانت له اليد الطولى في العلوم. ذكره البيروني في غير موضع من كتابه، فهو يقول منتقداً أدوار الفزاري ويعقوب بن طارق:

"... فلا محالة أن من كان متيقظاً يهمّه ما يراه في الكواكب من اضطراب الحساب فيجتهد لتصحيحه مثل محمد بن إسحاق السرخسي، فإنه وجد في حساب زحل تخلفاً وداوم على الاعتبار حتى استيقن أنه ليس من جهة التعديل، ثم أخذ يزيد على أدواره دوراً ويستقرئ إلى أن وافق الحساب منها عيانه، فأثبتها كذلك في زيجه"(١).

حسين بن حميد بن الأوحى

مؤلف (الزيج الكبير) الذي أتمه تلميذه القاسم بن محمد بن هشام الهاشمي المدائني المعروف بالعلوي، بعد وفاته وسمّاه بـ (نظم العقد) ونشره في ٣٣٨هـ. هذا كتاب شامل في تعديل الكواكب. اتبع فيه المؤلف مذهب سدهاند في الهيئة والحساب والنجوم(٢).

وهذا هو حسين بن حميد الذي روى أولاً قصة وصول سدهاند إلى بغداد.

حسين بن صباح

له زيج شهير اتبع فيه مذهب سدهاند وحلّ قضايا تعاديل الكواكب على أصول بطليموس، وقضايا ميول الشمس على الأصول المتداولة في عصره(٣).

---

(١) تحقيق ما للهند، ص٢٠٨.
(٢) طبقات الأمم، ص٩٩.
(٣) المصدر نفسه، ص٩٧.

محمد بن إسماعيل التنوخي

كان منجماً شهيراً. قال عنه القفطي إنه زار الهند ورجع منها بالقضايا الباهتة عن علم النجوم. أهم هذه القضايا قضية الحركة المقبلة والمدبرة[١].

عبد الله بن أماجور

هو أبو القاسم الهروي من أفاضل عصره. له أربعة زيجات: كتاب الزيج المعروف بالخالص، وكتاب الزيج المعروف بالمزنرة، وكتاب الزيج البديع، وكتاب زيج السند هند[٢].

مسلمة بن أحمد

هو أبو القاسم المعروف بالمجريطي. كان من أهالي الأندلس. قال عنه القفطي:

"كان إمام الرياضيين بالأندلس وأعلم من كان قبله بعلم الأفلاك وحركات النجوم"[٣].

مما يجدر بالذكر من خدماته نقل حساب التاريخ الفارسي المذكور في زيج محمد بن موسى الخوارزمي إلى العربية وتصحيحه ببدء السنة الهجرية، بجانب إضافة بعض الجداول المفيدة[٤].

---

(١) المصدر نفسه، ص٩٩.
(٢) تاريخ الحكماء، ص٢٨١.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٢٠.
(٤) المصدر نفسه، ص٣٢٦.

اللغة وآدابها

أولاً: قواعد اللغة

وعلاوة على هذه العلوم فيوجد أثر قواعد اللغة في الهند قبل وجودها في اللغة العربية وغيرها من لغات العالم. ذكر البيروني رواية عجيبة عن بدايتها، تشابه ما اشتهر عن أبي الأسود الدؤلي؛ فهو يقول:

"وقالوا في أولية النحو إن أحد ملوكهم كان يوماً في حوض مع نسائه فقال لإحداهن: "ما ودكندهي" أي لا ترشي عليّ الماء، فظنت أنه يقول: "مود كندى هي" أي احملي حلوى، فذهبت فأقبلت بها، فأنكر الملك فعلها فخاشنته في الخطاب، فاستوحش الملك لذلك، وامتنع عن الطعام كعادتهم، واحتجب إلى أن جاءه أحد علمائهم وسلّى عنه بأن وعده تعليم النحو والصرف، وذهب إلى (مهاديو) مصلياً مسبحاً وصائماً متضرعاً، إلى أن ظهر له وأعطاه قوانين يسيرة، ووعده التأييد فيما بعدها من الفروع..."[١].

يذكر المؤرخ المعاصر الشهير أحمد أمين المصري تلك الرواية في كتابه "ضحى الإسلام" ويقول:

"وأنا أخشى أن تكون حكاية أبي الأسود قد وضعت في العربية على نمط الحكاية الهندية، ولعل مما يرجح هذا الظن، أن الحكاية العربية مختلفة الأشكال، متعددة الرواية، فمن قائل إن علي بن أبي طالب هو

---

(١) تحقيق ما للهند، ص١٦٥.

الذي أوعز إلى أبي الأسود بوضع النحو، ومن قائل إنه عمر بن الخطاب، ومن قائل إنه زياد ابن أبيه. ثم من قائل إن سبب الوضع، أن قارئاً قرأ ﴿لا يأكله إلا الخاطئين﴾، ومن قائل إن قارئاً قرأ ﴿إن الله بريء من المشركين ورسولِه﴾. ومن قائل: إن ابنة أبي الأسود قالت: "ما أحسنُ السماء" تريد التعجب، فقال لها: نجومها؟ يظنها تستفهم. فقالت: يا أبت إنما أخبرتك ولم أسألك. فقال لها: إذن فقولي "ما أحسنَ السماء". إلى آخر ما قالوا مما يحمل على الشك في القصة، ثم هناك شبه بين ذهاب العالم الهندي إلى (مهاديو) مصلياً مسبحاً، وبين ذهاب أبي الأسود إلى علي بن أبي طالب يسأله المعونة في وضع النحو، وهكذا"[١].

إني متعجب من هذا المؤلف الكبير كيف تأثر بهذه الرواية وشك في رواية لها سند موثوق به، ولعل الفاضل لم يتفكر في هذا الجانب الفطري من بداية قواعد اللغة؛ أي أن يركب العوام أخطاء في الكلام العادي ويشكل حديثهم على أصحابهم، فأرى أن هذا واقع لم تخل من مثله أي لغة وتاريخها إلا أن يُنزل العلم عن قواعد لغة من السماء. أما قضية وضع رواية أبي الأسود الدؤلي على منوال هذه الرواية فلنعلم أن العرب عرفوا هذه الرواية الهندية عن طريق الكتاب (تحقيق ما للهند...) للبيروني فما كانوا على هذا القدر من المعرفة عن الهند قبل هذا، ولا كانت هذه الرواية معروفة لديهم. وعلى العكس من ذلك فرواية أبي الأسود الدؤلي توجد في المصادر التي سبقت كتاب البيروني هذا، حتى إن أكثرهم تأخراً هو ابن النديم الذي ولد قبل البيروني بكثير وهي عنده، فلا يصح القول بأن العرب وضعوا هذه الرواية بناءً على رواية الهند تلك. وأما أسانيد الرواية المختلفة فهي قضية يسهل حلُّها ولا تحمل النقاد على الشك في الرواية، وأرى أن هذا ليس خلافاً بين الروايات، بل روايات مختلفة ذاتها

---

(١) ضحى الإسلام ١/ ٢٤٥.

إذ لا ينكر في عمر وزياد ابن أبيه أن خطر ببالهما هذه الفكرة ولفتا ذهن علي رضي الله عنه إلى هذا الجانب كما فعل أبو الأسود الدؤلي، وكذلك لا يستبعد اختلاف الأحداث في أمر فطري. إني أرى هذا أمراً فطرياً يحدث في كل لغة وقواعدها، فالناطقون بها يخطئون كثيراً في استخدامها ولا يلتفت إليها إلا بعض من يهبهم الله جل مجده، وملخص المقال أن هذا حدث وعلّم علي رضي الله عنه أبا الأسود الدؤلي بعض قواعد اللغة.

وعلاوة على قواعد اللغة فقد كانت للهنود رغبة زائدة في علم العروض. سلط البيروني الضوء على هذا في كتابه الشهير، وقال في النهاية:

"ومن الممكن أن يكون الخليل بن أحمد سمع أن للهند موازين في الأشعار كما ظن به بعض الناس"[1].

وإن كان الخليل استفاد من الهنود في قضية العروض أم لا، ولكنه لا يشك في أنه استفاد من فقه اللغة السنسكريتية. والدليل على ذلك أنه رتّب اللغات في كتابه (كتاب العين) حسب مخارجها؛ فقد ابتدأ بالأحرف التي تخرج من الحلق ثم التي تخرج من اللسان ثم التي تخرج من الأسنان ثم التي تخرج من الشفة، وطبقاً على هذه الفكرة ابتدأ بالعين التي هي من الحروف الحلقية، فتم ترتيب اللغات في هذا الكتاب على النحو الآتي:

العين والحاء والهاء والخاء والغين والقاف والكاف والجيم والشين والصاد والضاد والسين والراء والطاء والواو والثاء والتاء والظاء والذال والباء واللام والزاي والميم والدال والألف والياء.

فترتيب الأحرف المذكور آنفاً هندي بحت، فأخذه الخليل منهم؛

(١) تحقيق ما للهند، ص٧١.

فتبتدئ المعاجم في السنسكريتية من حروف الحلق وتنتهي على أحرف الشفة[١].

وبالجملة فما أخذته اللغة العربية من اللغة السنسكريتية وآدابها من التراث العلمي يمكن توزيعه في المواضيع الثلاثة التالية:

الكلمات الهندية التي تم تعريبها

حدث هذا حينما كانت تجارة العرب مع الهند على قدم وساق، وكانوا يحملون عطور الهند ومنتجاتها الأخرى إلى بلادهم، فحملوا أسماء تلك الأشياء التي قاموا بتوريدها. ذكر السيوطي فهرساً لمثل هذه الكلمات التي تم تعريبها وجاء ذكرها في القرآن مثل الزنجبيل والكافور وغيرهما. وعلاوة على تلك، هناك كلمات أخرى أصلها هندي وهي مستخدمة في العربية مثل الأبنوس والببغاء والخيزران والفلفل والإهليلج وغيرها.

ويأتي في هذا القسم أقوال الهند عن الإنشاء والبلاغة، وهي مذكورة في كتب العربية للأدب والبلاغة، وذلك أن الهندوس أطباءهم وعلماءهم، حينما زاروا بغداد جاؤوا برسائلهم الأدبية بجانب رسائلهم الطبية والفلسفية، فقاموا أو قام الآخرون بترجمتها إلى العربية. يشير إلى هذا قول الجاحظ الآتي:

"إن مَعْمَراً أبا الأشْعَثِ قال: قلت لبهلة الهندي - أيام اجْتَلَب يحيى بنُ خالد أطباء الهند - ما البلاغة عند أهل الهند؟ قال بهلة: عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة لا أحْسِن ترجمتها لك، ولم أعالج هذه الصناعة فأثق من نفسي بالقيام بخصائصها، وتلخيص لطائف معانيها، قال أبو الأشعث فلقيت بتلك الصحيفة التراجمة، فإذا فيها: (أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ٣/٨٨.

اللحظ، متخَيَّر اللفظ، لا يُكَلم سيدَ الأَمَةِ بكلام الأَمَةِ، ولا الملوكَ بكلام السوقَةِ. ويكون في قواهُ فضل للتصرف في كل طبقة، ولا يدقق المعاني كلّ التدقيق، ولا ينقِّح الألفاظ كلّ التنقيح، ولا يُصفِّيها كل التصفية، ولا يهذبها غاية التهذيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادِفَ حكيماً أو فيلسوفاً عظيماً "(١).

والناظر في هذه العبارة يتحير من إيجاز بلاغة العرب فإنهم أدوا مفهومها بكلمة واحدة وهي (مقتضى الحال). فقد ذكر التنوخي الذي قام بموازنة بلاغة العرب ببلاغة الهنود أن الفرق الواضح بين بلاغة العرب وبلاغة الهنود هو أن الهنود يميلون إلى الإطناب والعرب يحبون الإيجاز. ولذلك ذكر قصة فقال:

"إن خارجياً خرج على بعض ملوك الهند فخرج إليه الملك بنفسه، فقتله الخارجي، وملك دارَه ومملكته، فأحسن السيرة وسلك سبيل الملوك. فلما طال أمره، وغرّ ذكره وقوي سلطانه؛ جمع بعض عقلائهم وحكمائهم وسألهم: هل ترون فيَّ عيباً أو في سلطاني نقصاً؟ قالوا: لا، إلا شيئاً واحداً إن أمَّنتنا قلناه! قال: أنتم آمنون. قالوا: نرى كلّ شيء لك جديداً (يُعَرِّضون أنه لا عِرْقَ له في الملك) قال: فما حال ملككم الذي كان من قبلُ؟ قالوا: كان ابن ملك. قال: فأبوه؟ قالوا: ابن ملك. قال: فأبوه؟ إلى أن عدّد عشرة أو أكثر، وهم يقولون: ابن ملك. فانتهى إلى الأخير. فقالوا: كان متغلباً. قال: فأنا ذلك الملك الأخير، وإن طالت أيامي كان الملك بعدي في ولدي"(٢).

---

(١) ضحى الإسلام ١/٢٤٧.
وزاد فيه ابن قتيبة: ويكون قد تعود حذف فضول الكلام وإسقاط مشتركات الألفاظ، قد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة لا على جهة الاعتراض والتصفح" (عيون الأخبار، ٢/١٨٩).

(٢) المصدر نفسه.

قال التنوخي بعد نقل هذه القصة: إن العرب أدوا هذا المعنى بكلمتين فقط؛ فيروى أن رجلين من العرب كان يفتخر أحدهما على الآخر فقال أحدهما لصاحبه: "نسبي مني ابتدأ ونسبك إليك انتهى"(١).

ثانياً: القصص والحكايات

لا يوجد أي أثر لهذا النوع من الأدب في عرب الجاهلية إلا أن هناك علماً يسمَّى بـ (علم وقائع العرب) ويسهل لنا الإيمان به لأن العرب كانوا مفطورين على هذا فكانوا يحفظون تقاليد بلادهم وعشائرهم أباً عن جد، ولكن لم تكن له أهمية علمية، فلا نتجاوز الحق إذ نقول: إن هذا النوع من الأدب قد تم بناؤه في الأدب العربي بفضل (كليلة ودمنة).

كليلة ودمنة

إن لكليلة ودمنة قدراً كبيراً في تراث الهند الحضاري والثقافي القديم، ويمكن ألا يحصل على أهمية كبرى في هذا العصر العلمي ولكنه قد نال منزلة عليا حينما صدر أولاً في ذلك العصر. لنقدِّر منزلته هذه برواية الدينوري التالية:

"... فرضي أبوه بذلك منه، وخرج كسرى من عنده فجلس مجلس الملك، وبلغ بهرام ما جرى وهو بالري، وما كان من الأمر فغضب هرمزد غضباً شديداً وأدركته له حمية ورقة، وذهب عنه الحقد. فسار في جنوده جاداً مجداً ليقتل كسرى ومن والاه على أمره ويرد هرمز إلى ملكه. وبلغ كسرى وصوله من الري وما يهم به، فكتم ذلك عن أبيه وسار متلقياً بهرام في جنوده، وقدم رجلاً من ثقاته، وأمره أن يأتي عسكر بهرام متنكراً فينظر سيرته ويعرف له كنه أمره. فسار الرجل فاستقبل بهرام بهمذان،

---

(١) المصدر نفسه.

فأقام في عسكره حتى عرف جميع أمره، ثم انصرف إلى كسرى، فأخبره أن بهرام إذا سار كان عن يمينه مردان سينه الرويد شتى، وعن يساره يزد جشنس بن الحلبان، وأن أحداً من جنوده لا يطمع نفسه في اغتصاب أحد من الرعية مقدار حبة فما فوقها، وأنه إذا نزل المنزل دعا بكتاب (كليلة ودمنة) فلا يزال منكباً عليه طول نهاره، فقال كسرى لخاليه بندوية وبسطام: ما خفت بهرام قط كخوفي منه الساعة حين أخبرت بإدمانه النظر في كتاب (كليلة ودمنة). لأن كتاب كليلة ودمنة يفتح للمرء رأياً أفضل من رأيه وحزماً أكثر من حزمه لما فيه من الآداب والفطن..."[1].

والواقع أن هذا هو جانبه المفيد الذي سبب نشره وإذاعته في مدة غير طويلة. وذهب به سكان البلاد الأخرى المتحضرة والمثقفة كهدية ثمينة. فقد تمت ترجمته إلى اللغة السريانية بعد تمام ترجمته الفهلوية فوراً، ثم تبعها نقله إلى اللغة العربية في العهد الإسلامي. والحق أن كثرة إذاعته هي التي سببت ثورة الاختلافات في وجوده، فقد راعى في ترجمته مترجم كل لغة ذوق بلاده وأسلوب بيانه فزاد ونقص، وكلما مرّت العصور بعُد الكتاب عن محتوياته الأصلية، حتى ظنّه الباحثون تراث قوم غير الهنود. قال عنه ابن النديم:

"فأما كتاب (كليلة ودمنة) فقد اختلف في أمره؛ فقيل عملته الهند وخبر ذلك في صدر الكتاب، وقيل عملته ملوك الاسكانية ونحلته الهند، وقيل عملته الفرس ونحلته الهند، وقال قوم إن الذي عمله بزرجمهر الحكيم أجزاء".[2]

ولنقرأ ما كتبه ابن خلكان عن هذا الكتاب:

---

(١) الأخبار الطوال، ص٨٥.

(٢) الفهرست، ص٤٣٧.

"ويقال: إن ابن المقفع هو الذي وضع كتاب كليلة ودمنة. وقيل: إنه لم يضعه، وإنما كان فارسياً فنقله إلى العربية، وإن الكلام الذي في أول هذا الكتاب من كلامه"(١).

وبالجملة فقد وردت اختلافات جاء ذكرها في مختلف الكتب، ولكن أهل البحث والتحقيق لم يلتفتوا إلى هذه، بل ردوا عليها بكل شدة. وقد زاد الطين بلة أن الأصل الذي حمله برزويه من الهند لا يوجد الآن بل قد ذهب الدهر بنسخته الفهلوية التي هي الأصل لترجمته العربية، فلم تبق إلا نسخته العربية والسريانية وهما ليستا إلا ترجمتيه إلى هاتين اللغتين.

وبالجملة فهذا لا ينكر أن ترجمة هذا الكتاب إلى العربية رهينة بترجمته الفهلوية؛ فالمعروف أن أصل هذا الكتاب جاء به برزويه من الهند في عصر أنوشيروان الكسرى ومن ثم تمت ترجمته إلى الفهلوية، ولما ابتدأت عملية نقل العلوم في المسلمين ترجمه ابن المقفع من هذه النسخة الفهلوية، وهذا ما يبدو من مقدمة الكتاب.

تراجم كليلة ودمنة

إن هذا هو الكتاب الوحيد الذي تمت ترجمته إلى مختلف اللغات في مختلف البلاد، وليس هذا فقط، بل تعددت تراجمه إلى بعض اللغات وزاد فيه المترجم ونقص حسب ذوقه وعادته، فنحسب ضرورياً أن نعرف بعض تراجمه قبل البحث عن أصله واختلاف محتوياته.

١- ترجمته الفهلوية: هذه بكرة تراجم كليلة ودمنة، وأصلها تلك النسخة السنسكريتية التي جاء بها برزويه إلى إيران، ولكن اليوم لا يوجد الأصل ولا ترجمته الفهلوية.

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٤٢٤.

٢- ترجمته السريانية القديمة: تمت ترجمته هذه قبل الإسلام في ٥٧٠ ق.م، وأصلها تلك الترجمة الفهلوية. يقول عنها الدكتور أحمد أمين المصري: رأيت هذه النسخة في دير ماردين وتم طبعها في ١٨٧٦م.

٣- ترجمته العربية: قام بها عبد الله بن المقفع كاتب أبي جعفر في ١٤٢هـ. وهذه الترجمة هي الأصل لكافة التراجم التي تمت بعدها إلى مختلف اللغات. وحقّ ما قاله شمس العلماء السيد علي البلغرامي في إحدى محاضراته:

"إن الترجمة السريانية والترجمة العربية كلتاهما أختان؛ أي ولدتهما الترجمة الفهلوية. والفرق بينهما ليس إلا أن الأخت السريانية لم تلد وجهلها العلماء، وأما الأخت العربية فقد ولدت كثيراً، وبقي ذكر مستمر لأولادها وحفدتها، وهم المسيطرون على أوربة ومعظم آسية"[١].

٤- ترجمة عبد الله بن علي الأهوازي: هذه هي الترجمة العربية الأخرى لكليلة ودمنة. تمت ليحيى بن خالد البرمكي في عصر الخليفة العباسي الشهير المهدي في ١٦٥هـ[٢]. أصلها أيضاً الترجمة الفهلوية.

٥- ترجمة سهل بن نوبخت: هذه ترجمة كليلة ودمنة المنظومة ليحيى بن خالد البرمكي الذي أعطى المترجم ألف دينار أجرة لها[٣].

٦- ترجمة أبان: قام بها أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي أحد حواشي البرامكة. وكان نظم كتباً أخرى غير كليلة ودمنة. توفي في ٢٠٠هـ/ ٨١٥م[٤].

---

(١) راجع المحاضرة التي تم إلقاؤها في المؤتمر التعليمي في كانون الأول/ ديسمبر ١٨٩١م بعلي كره.

(٢) كشف الظنون ٢/١٥٠٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الفهرست، ص١٨٠ و ٤٣٨.

٧- ترجمة علي بن داود كاتب زبيدة بنت جعفر: ممن نظم هذا الكتاب وذكره ابن النديم غير أبان بن عبد الحميد علي بن داود كاتب زبيدة بنت جعفر[١]. لم نقف على ترجمته.

ذكر ترجمتيه الأخريين أبو الفرج الأصفهاني صاحب (الأغاني)[٢]، وقال: إنهما تشتملان على ١٤٠٠٠ بيت بلغة سهلة للغاية. كانت هذه الأبيات تقرأ على أولاد البرامكة وبناتهم، فكانوا يحفظونها في أذهانهم. وقد ذكر بيتين كنماذج وهما:

هـذا كـتـاب أدب ومـهـنـة   وهو الذي يدعى كليلة ودمنة

فيه احتيالات وفيه رشد   هـو كـتـاب وضعته الهند

٨- ترجمة بشر بن معتمر: هذه ترجمة بعض أجزاء كليلة ودمنة. ذكرها ابن النديم مع ترجمة علي بن داود.[٣]

٩- ترجمة ابن الهبارية: قام محمد بن صالح بن حمزة البغدادي (م ٥٠٤هـ/ ١١١٠م) بنظم كليلة ودمنة بالعربية في كتابه (نتائج الفطنة). وادعى بأن ترجمته هذه أحسن وأفضل من ترجمة أبان. تم طبعها في الهند وبيروت[٤].

١٠- ترجمة القاضي أسعد بن مماتي المصري (م ٦٠٦هـ): تمت هذه الترجمة، على حد قول ابن خلكان، لصلاح الدين الأيوبي.

١١- ترجمة رودكي: هذه بكرة تراجمه الفارسية المنظومة. قام بها رودكي أشهر شعراء العصر الساماني، المتوفى في ٣٠٤هـ. نال الشاعر أربعين ألف درهم جزاءً لها[٥].

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٣٨.
(٢) الأغاني، ٢/ ٧٣.
(٣) الفهرست، ص٤٣٨.
(٤) ضحى الإسلام ١/ ٢٢.
(٥) كشف الظنون ٢/ ٥٥٨.

١٢- ترجمة نصر بن محمد: قام بها نصر بن عبد الحميد (م ٥١٢هـ) بأمر من بهرام شاه بن مسعود الغازي. أصلها ترجمة عبد الله بن المقفع العربية. الآن هي معروفة بـ (كليلة ودمنة فارسي).

١٣- ترجمة الكاشفي: وبما أن ترجمة نصر بن محمد كانت غير واضحة فقد قام حسين بن علي الواعظ الكاشفي (م ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م) بتلخيصها وتصليحها في القرن التاسع الهجري. قام بها للأمير سهيلي أحد أمراء السلطان حسين بيقرا. وهذا هو السبب وراء تسميتها بـ (أنوار سهيلي).

١٤- ترجمة عبد الواسع عيسى (م ٩٥٠هـ): هذه ترجمة تركية لكليلة ودمنة، تسمَّى بـ (همايون نامه). أصلها (أنوار سهيلي).

وعلاوة على هذه التراجم فقد تمت تراجمه الأخرى في مختلف لغات العالم ولكنها خارجة عن نطاق بحثنا فنصرف النظر عنها.

مصادر كليلة ودمنة السنسكريتية

قد ثبت من البحوث الحديثة عن كليلة ودمنة ومصادرها أنه كتاب ذو أصل هندي، ولو أن أصله السنسكريتي لا يوجد اليوم، ولكن أبوابه المختلفة توجد في الكتب الهندية الأخرى، فهذا كله يشير إلى أصله الهندي. وفيما يلي ذكر موجز لمثل هذه المصادر كافة:

١- بنج تنترا: هذه كلمة سنسكريتية تعني خمسة أبواب. كان هذا الكتاب محتوياً على ثلاثة عشر باباً ومسمّىً باسم يعني (مرآة الملوك). كان الكتاب يهدف إلى تعليم الحكام والملوك الحكمَ والمعارف. ذهب الدهر بثمانية أبواب منه وبقي خمسة منها، وسميت بـ (بنج تنترا). ذكر البيروني هذا الكتاب، ويبدو من كلامه أن كليلة ودمنة ترجمة عربية لهذا الكتاب، ولكن الواقع خلاف ذلك. حدث هذا لسبب أن الباب الخامس لبنج تنترا

يضاهي الباب الخامس الابتدائي لكليلة ودمنة، وإلا فالكتاب الذي رجع به برزويه من الهند إلى إيران وقام بترجمته إلى الفهلوية، كان كاملاً من دون نقص علمي فني. بحث الدكتور هيرتل (Johannes Hertel) عن نسخة له وناقشها المستشرقون. وكذلك تمت ترجمته إلى مختلف لغات أوربة، وانتشرت في البلاد، فيرى هيرتل أن مؤلفه حكيم هندي يسمَّى (برهمن فيشنو/ Brahmin Vishnu) الذي قام بتأليفه في القرن الثالث الميلادي.

٢- هتوپديش (Hatu Updesh): هذه الكلمة تعني (نصيحة الصديق) هذا كتاب للقصص السنسكريتية، تم طبعه في أوربة وترجم إلى الإنجليزية ثلاث مرات.

٣- مهابهارتا (Mahabharata): هذه حكاية الحرب المنظومة بالسنسكريتية. تمت ترجمته إلى عديد من لغات العالم.

٤- هرد نجه: هذا أيضاً مجموع للقصص باللغة السنسكريتية.

تحديد أبواب الكتاب

قال ابن النديم لدى ذكر هذا الكتاب بأنه يشتمل على سبعة عشر باباً، وقيل له ثمانية عشر باباً. هذا هو العدد العام لأبوابه، وهو موجود في نسخه كافة تقريباً. ولكن لوجمعنا تراجمه ونسخه الخطية كافة من حيث أبوابه وقصصه لوجدناها ٢١ باباً.

يمكن توزيع هذه الأبواب فيما يأتي:

١- مقدماته: هذا العنوان يحتوي على أربعة أبواب هي:

(أ) مقدمة علي ابن الشاه الفارسي، (ب) وعرض الكتاب لعبد الله بن المقفع، (ج) وبعث برزويه، (د) وباب برزويه الطبيب.

٢- الأبواب الخمسة الأولى: وهي باب الأسد والثور، وباب الحمامة المطوقة، وباب البوم والغربان، وباب القرد والغيلم، وباب الناسك وابن

عرس، ونضم إلى هذا القسم باب الفحص عن أمر دمنة الذي يتبع باب الأسد والثور، وباب السائح والصواغ الذي توجد قصته ضمن الباب الأول لكتاب بنج تنترا.

٣- وهناك ثلاثة أبواب تأتي بعد تلك الأبواب وهي: باب الجرذ والسنور، وباب الملك، وباب الطائر والأسد وابن آوى.

٤- الأبواب الأخرى: وهي قسمان:

أ- الأبواب التي تتفق عليها النسخ كافة، وهي: باب إيلاد وإيراخت وشادرم ملك الهنود، وباب اللبوة والإسوار، وباب الناسك والضيف، وباب ابن الملك وأصحابه.

ب- الأبواب التي توجد في بعض النسخ وهي: باب ملك الجرذان، وباب مالك الحزين والبطة، وباب الحمامة والثعلب ومالك الحزين.

مقدماته وأبوابه

١- **مقدمة علي ابن الشاه الفارسي**: ويمكن لنا أن نقول قطعاً عن هذا الباب إنه تم انضمامه إلى أي نسخة منه بعد عبد الله بن المقفع بسنتين؛ وذلك لأن معظم نسخه تخلو من هذه المقدمة بجانب فقدها في التراجم التي أصلها ترجمة عبد الله. قام بتأليفه - كما حقّقه نولديكه (Noldeke) - علي بن محمد ابن الشاه الطاهري المتوفى في ٣٠٢هـ.

ثم تأتي بعدها ثلاثة أبواب، باب عرض الكتاب لابن المقفع، وباب بعث برزويه، وباب برزويه الطبيب. ولو أن هذه الأبواب مرتبة في النسخ على هذا المنهج ولكن هناك نسخاً جاء فيها باب عرض الكتاب بين باب بعث برزويه وباب برزويه الطبيب، كما أن هناك نسخاً عربية وترجمة فارسية لنصر الله الفارسي، جاء فيها فهرس الأبواب قبل باب عرض الكتاب لابن المقفع وبعد باب بعث برزويه.

ويتضح من هذا أن باب عرض الكتاب مما قام بتأليفه ابن المقفع، ولو أن هناك فرقاً في ترتيب باب بعث برزويه وباب عرض الكتاب؛ فقد قدّم الأول على الآخر وعلى العكس. نعم هنا ترجمة فارسية تعزوه إلى بزرجمهر بختكان. والآن يبقى السؤال عن باب بعث برزويه؛ فقد عزي في بعض النسخ إلى بزرجمهر، وبعض النسخ تقول: إنه تأليف ابن المقفع. وهناك نسخ لا تنطق عن عزوه إلى أحد.

فقد ثبت أن باب برزويه الطبيب من زيادة الإيرانيين الذين قاموا بها لدى ترجمته إلى الفارسية، كما أن باب عرض الكتاب تأليف ابن المقفع الذي زاده لدى ترجمته إلى العربية. وأما قضية عزو باب بعث برزويه فأغلب الظن أنه من الأبواب التي زيدت في نسخ الكتاب العربية؛ فإن ترجمتيه السريانيتين، القديمة والجديدة، تخلوان عن هذا؛ فالأولى أصلها ترجمة فارسية، والأخرى أصلها ترجمة عربية، وزد على هذا خلاء ترجمة ابن الهبارية المنظومة عن هذا. فهذا يثبت أن النسخ العربية القديمة كانت خالية عن هذا، ولذلك فترجمته السريانية الحديثة التي أصلها هي الترجمة العربية فارغة عن ذلك، وهذا دليل قاطع على أن هذا الباب لم يكن موجوداً في نسخته الأم الفهلوية.

٢- **الأبواب الخمسة الأولى**: هذه الأبواب الخمسة توجد بعد بعث برزويه في كافة النسخ حسب الترتيب الذي نراه اليوم. مصدرها، كما مضى، بنج تنترا إلا باب الفحص عن أمر دمنة فلم نجده في أي مصدر هندي، وبما أنه لا يوجد في الترجمة السريانية القديمة، فنستطيع أن نقول إنه من وضع عبد الله بن المقفع، ويدل على ذلك ما ذكر في الباب من أمور وأحاديث.

أما باب السائح والصواغ فقد جاء في باب الأسد والثور الباب الأول لبنج تنترا.

٣- الأبواب الثلاثة المتوسطة: وجدت الأبواب الثلاثة، باب الجرذ والسنور، وباب الملك والطائر، وباب الأسد وابن آوى في مهابهارتا أقدم الكتب السنسكريتية المنظومة، وكذلك يوجد باب الملك والطائر في كتاب سنسكريتي آخر (هرونجه).

توجد هذه الأبواب في جميع نسخ الكتاب على الترتيب الذي جاء في بنج تنترا، والفرق ليس إلا اتصالها بالباب الخامس لبنج تنترا أو فصلها بأبواب أخرى، في مختلف نسخ الكتاب؛ ففي نسخة مكتبة أيا صوفيا بإستانبول جاء باب إيلاد وإيراخت وشادرم ملك الهند، وباب ملك الجرذان بينهما، كما جاء باب إيلاد وشادرم إيراخت بينهما في نسخة شيخو.

وبالجملة فهذه الأبواب الثلاثة والأبواب الخمسة الماضية من الأبواب العشرة التي عدَّها نصر الله بن عبد الحميد هندية الأصل. والآن بقي البابان باب الفحص عن أمر دمنة وباب الإسوار واللبوة.

٤- الأبواب الأخرى: في هذا القسم يأتي نوعان من الأبواب:

أ- الأبواب التي توجد في نسخ الكتاب كافة.

ب- الأبواب التي لا توجد إلا في بعض نسخها.

أولاً: ففي القسم الأول تأتي الأبواب التالية:

أ-إيلاد وإيراخت وشادرم ملك الهند: ولو أن هذا الباب لا يوجد في أي كتاب هندي ولكن محتوياته تدل على أنه هندي؛ فإن فيه صورة العداوة بين بوذا والبراهنة وتوجيه الشتائم إلى البراهنة. توجد هذه القصة في كتاب تم تأليفه باللغة التبتية، فيغلب الظن أنه وصل إلى تبت (Tibbat) من الهند، ويؤيد ما قلنا أن هذا الباب موضوع في الأبواب التي تعدُّ هندية الأصل.

ب-باب اللبؤة والإسوار: هذا الباب أيضاً ينطق عن عقائد الهندوسية؛ مثل تحريم اللحم وقضاء الحياة على الأثمار، فنستطيع أن نحكم أنها هندي أصلُها.

ج-باب الناسك والضيف: لا يوجد هذا الباب في النسخة السريانية القديمة التي أصلها النسخة الفهلوية القديمة، ولا تحمل محتوياتها في طياتها ما يدل على كونها هندية، بل على العكس من ذلك جاء ذكر التمر الذي هو عربي بحت، فهذا حدث لأسباب ثلاثة:

-إما لأنه ضم إليها في الترجمة الفهلوية وترك في الترجمة السريانية.

-أو ضمّه إليها عبد الله بن المقفع من قبله.

-أو أبقى عبد الله بن المقفع عدد أبواب الترجمة الفهلوية فلم ينقص منها شيئاً.

ولكن بما أن أسلوبه يشبه أسلوب ابن المقفع ويوجد ذكره في النسخ العربية كافة، القديمة والحديثة، فيغلب الظن أنه تم انضمامه إلى أبواب الكتاب من قبل ابن المقفع ذاته.

د-باب ابن الملك وأصحابه: يرى بعض الباحثين أن هذه القصة تشبه قصة بنج تنترا التي جاءت في الباب الأول له، ولكن فالكونر (Falconer) يذهب إلى أن هذا الشبه خفيف فلا يجوز أن نحكم على كونهما ذوي أصل واحد لمجرد هذا الشبه الخفيف.

ثانياً: الأبواب التي لا توجد إلا في بعض النسخ، وهي ثلاثة:

أ-باب ملك الجرذان: هذا الباب يوجد في نسخة مكتبة أيا صوفيا فقط. وهي أقدم نسخ كليلة ودمنة الخطية التي تم تحريرها في ٦١٨هـ. يبدو من الدراسة أن أسلوبه يختلف تماماً عن أسلوب ابن المقفع، بل فيه أخطاء

وزلات لغوية، ولكن هذا الباب أيضاً يوجد في النسخة السريانية القديمة، وهو باب له أخير فنستطيع أن نقول بناءً على هذا: إنه يمكن وجوده في النسخة الفهلوية فتركه عبد الله بن المقفع، ولكن زيد فيها بعد ترجمته من السريانية أو من الفهلوية، وهذا هو السبب وراء فقده في معظم نسخ الكتاب العربية. يرى نولديكه (Noldeke) أنه فارسي الأصل غير هندي الأصل، ويستدل على ذلك بالأسماء التي جاء ذكرها فيه وهي كلها فارسية. وكذلك يدل على وضعه في إيران مجيء كلمة (في أرض البراهمنة) في أثناء الكلام. فلا يمكن لكاتب أن يقول هذا وهو من نفس الوطن الذي يسكنه عند التحرير. وزد على ذلك انتحار النفس وذمّه الذي يقرب من مذهب الإيرانيين وينفر من مذهب الهنود.

ب-باب مالك الحزين والبطة: كشف (دي ساسي) (Sylvestre De Sacy) عن وجود هذا الباب في بعض نسخ الكتاب، ولكنه قال: إنه انضم إليها فيما بعد. يقول فيللونر إنه ورد ذكره في بعض نسخ الكتاب العربية.

ج-باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين: يوجد هذا الباب في معظم نسخ مصر والشام تقريباً، سوى نسختي أيا صوفيا ودي ساسي. والواقع أن هذا الباب عثر عليه في التراجم التي تم أخذها من الترجمة العربية مثل الترجمة الأسبانيائية والعبرية و...

يبدو أن هذه الأبواب الثلاثة من وضع عبد الله بن المقفع.

ملخص البحث

نخلص من البحث السابق أن لكتاب كليلة ودمنة واحداً وعشرين باباً توجد في مختلف نسخه باختلاف وجيز. فإن تركنا أربعة أبواب عن المقدمات، وثلاثة أبواب نهائية التي توجد في نسخة أو نسختين، بقي أربعة عشر باباً يثبت على تسعة منها أنها هندية أصلاً؛ إذ خمسة منها

جاءت في بنج تنترا وباب السائح والصواغ الذي جاء في أول الكتاب، وثلاثة منها جاءت في مهابهارتا. وأما الأبواب الخمسة الباقية فلم توجد في أي كتاب هندي، وهي: باب الفحص عن أمر دمنة، وأربعة أبواب من القسم الرابع. والآن اقرأ كلام نصر الله بن عبد الحميد المتوفى في ٥١٢هـ؛ في ترجمته كفهرس للكتاب بعد نهاية بعث برزويه يقول:

"لكتاب كليلة ودمنة ستة عشر باباً، عشرة منها هندية الأصل، وستة منها موضوعة من قبل الإيرانيين".

ثم عدّد الأبواب العشرة الهندية الأصل وهي الأبواب الخمسة الأولى الموجودة في (بنج تنترا) وباب الفحص عن أمر دمنة، والأبواب الثلاثة المذكورة في (مهابهارتا) وباب الإسوار واللبؤة. وأما الأبواب التي أضافها الإيرانيون فهي البابان للمقدمة والأبواب الأربعة من أصل الكتاب، فتوزيع الأبواب التي ذكرها هكذا:

الأبواب التي لها أصول هندية

أ- باب الأسد والثور، وباب الفحص عن أمر دمنة، وباب الحمامة المطوقة، وباب البوم والغربان، وباب القرد والسلحفاة، وباب الناسك وابن عرس (هذه الأبواب الخمسة في بنج تنترا).

ب- باب الجرذ والسنور، وباب الملك والسنور، وباب الأسد وابن آوى (هذه الأبواب الثلاثة في مهابهارتا).

ج- باب اللبؤة والإسوار.

الأبواب التي لها أصول فارسية

أ- بداية كليلة ودمنة (هذا هوالباب الذي يعرف في النسخ العربية كافة بـ (باب عرض الكتاب لابن المقفع) وفي بعض النسخ هو معزوٌ إلى (بزرجمهر) وباب برزويه الطبيب.

ب- باب الناسك والضيف وباب إيلاد والبراهمة والسائح والصائغ، وباب ابن الملك وأصحابه.

والآن نلخص تحقيق سيلويستر دي ساسي الذي نشر نسخة كليلة ودمنة العربية من الأندلس في ١٨١٦م، وكتب بحوثه في مقدمته التي كتبها باللغة الفرنسية. فالمقدمة تقول إن بابين من ١٨ باباً لكليلة ودمنة تم ضمهما إليها عند ترجمته العربية، كما أن ستة أبواب منه تم ضمها إليها عند الترجمة الفهلوية. وهكذا تبقى عشرة أبواب هندية الأصل.

فالبابان اللذان أضيفا في العهد الإسلامي أحدهما هو الذي كتبه علي ابن الشاه الفارسي، وآخرهما هو الباب الثالث الذي وضعه عبد الله بن المقفع. أما الأبواب الستة التي زيدت في إيران فهي الباب الرابع والأبواب الخمسة النهائية، ويستدل على هذا بأن الأبواب الأربعة النهائية عزي تأليفها إلى الإيرانيين في بعض النسخ الموجودة لديه في عهد أنوشيروان، ولو لم يسمَّ صاحبها، ولكن نسخة له خطية في برلن تعزوها إلى بزرجمهر بختكان، وعلاوة على هذا هناك رأي آخر يقول: إن القصص والحكايات التي ترجمت من بنج تنترا شابها التصريف والتصحيف حسب ذوق الإيرانيين؛ فالأصول والمفاهيم هندية، ولكن الأساليب والطرق إيرانية، فيبدو من هذا أن برزويه حذف المفاهيم والمعاني التي كانت تخالف ديانة الزرادشت واكتفى بترجمة حكمها ومعارفها.

وبالجملة فلا يمكن لنا أن نقول عن كليلة ودمنة إنه ترجمة عربية طبق الأصل الهندي؛ فهو مزيج من العناصر الهندية والفارسية التي تم نشر بعضها قبل الإسلام. وأما البعض الآخر الممزوج بالتعاليم الإسلامية فقد تم صدوره بعد الإسلام، ومع ذلك فالتي ترجع إلى الهنود إنما هي أصول ومفاهيم هندية وترتيبها فعل لبرزويه، وهذا هو مذهب البيروني الذي ذكر عنه موجزاً فهو يقول:

"وبودّي لو كنت أتمكن من ترجمة كتاب بنج تنترا، وهو المعروف عندنا بكتاب كليلة ودمنة، فإنه تردّد بين الفارسية والهندية ثم العربية والفارسية على ألسنة قوم لا يؤمن تغييرهم إياه كعبد الله بن المقفع في زيادته باب برزويه فيه قاصداً تشكيك ضعيفي العقائد في الدين وكسرهم للدعوة إلى مذهب المنانية..."[١].

تأثير كليلة ودمنة في الأدب العربي

رغب فيه العرب بعد أن قام ابن المقفع بترجمته إلى العربية، فبدأ الشعراء بصَبغِه بصِبغة الشعر، كما أبدع الأدباء في هذا المجال مغادرين مجالات الحكم القصيرة والخطب غير الطويلة، فأولد قسم خاص بالقصص وكثرت المؤلفات فيها. فالكتاب الأول الذي تم تأليفه في هذا المجال هو كتاب البخلاء للجاحظ؛ وهو من علماء أوائل القرن الثالث الهجري. تم طبعه في مصر وغيره من البلاد مراراً وتكراراً، ثم تبعه عدد وافر من المؤلفين الذين أثروا فيه وقدّموا خدمات جليلة طوّرت هذا الفن؛ أمثال عيسى بن دأب، والشرقي بن القطامي، وهشام بن الكلبي، وهيثم بن عدي. ومن آثارهم كتاب مرقش وأسماء، وجميل وبثينة، وكثير وعزّة، وقيس ولبنى، ومجنون وليلى، وتوبة وليلى[٢]. ولكن هذه المؤلفات لا توجد اليوم فلا نحكم على أساليبها وطرقها، إلا أننا نجد عنترة وهو من آثار ذلك العصر. قام بتأليفه الشيخ يوسف بن إسماعيل. قال عنه جرجي زيدان:

"وهي أحسن القصص العربية وأفيدها، وقد عني الإفرنج بنقلها إلى ألسنتهم كاملة وملخصة، وطبعت في العربية مراراً عديدة في بضعة آلاف صفحة"[٣].

---

(١) تحقيق ما للهند، ص٧٦.

(٢) الفهرست، ص٤٣٩.

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ٢/ ٢٩٢.

ولعله قد تم في هذا العصر نقل كتاب فارسي آخر (هزار داستان) (Hazar Dastan) الذي يعرف بـ (ألف ليلة)(١).

يبدأ تطور هذا الفن منذ القرن الرابع الهجري؛ فتم فيه تأليف كتاب (أسماء العرب والعجم) للجهشياري. يقول عنه ابن النديم:

"ابتدأ عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري صاحب (كتاب الوزراء) بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم، كل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره، وأحضر المسامرين، فأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ويحسنون، واختار عن الكتب المصنفة في الأسمار والخرافات ما يحلو بنفسه"(٢).

نقل ريدم متز هذا القول لابن النديم وقال عنه:

"هذه القصص هي التي تختلف بنوعها عن القصص القديمة التي نقلها ابن قتيبة وابن عبد ربه في مؤلفاتهما، فإن فيها أسلوباً قصصياً حديثاً في العهد الإسلامي"(٣).

ثم اختارت هي أسلوباً علمياً، فقام إخوان الصفا بتأليف (المناظرة بين الحيوان والإنسان). حكم عليه كافة الأدباء والنقاد بأنه مصطبغ تماماً بصبغة كليلة ودمنة، حتى قال غولدزيهر (Goldseiher) إن اسم (إخوان الصفا) مأخوذ من كليلة ودمنة، فإنه جاء في باب الحمامة المطوقة، باب كليلة ودمنة الأول(٤).

وعلاوة على هذه المؤلفات فهناك عدد كبير من الكتب التي حذا فيها

(١) الفهرست، ص٤٣٨.
(٢) المصدر نفسه، ص٤٣٧.
(٣) الحضارة الإسلامية ١/٤١٩.
(٤) ضحى الإسلام، ١/٢٢١.

الكتّاب حذو كليلة ودمنة، واتبعوا المنهج نفسه الذي تم اختياره في ذلك الكتاب. ومن مثل هذه الكتب ما هو مذكور فيما يلي:

١- ثعلة وعفرة: هذه محاولة أولى حذا فيها سهل بن هارون (٢١٥هـ/ ٨٣٠م) حذو كليلة ودمنة[١]. يقول عنه المسعودي:

"وقد صنّف سهل بن هارون الكاتب لأمير المؤمنين المأمون كتاباً ترجمه ثعلة وعفرة، يعارض به كتاب كليلة ودمنة في أبوابه وأمثاله، يزيد عليه في حسن نظمه"[٢].

٢- القائف: قام بتأليفه أبو العلاء المعري (٣٦٣-٤٤٩هـ/ ٩٧٣-١٠٥٧م). يقول عنه الجلبي:

"إن أبا العلاء المعري ألّف كتاباً اسمه على مثال كليلة ودمنة، وهو في ستين كراسة ولم يتم، وإن له كتاب (منار القائف) يتضمن تفسيره في عشرة كراريس"[٣].

٣- الصادح والباغم: هذا تأليف محمد بن صالح بن حمزة البغدادي المعروف بـ (ابن الهبارية) (٥٠٤هـ/ ١١١٠م)[٤]. يقول عنه الجلبي:

"منظومة على أسلوب كليلة ودمنة في ألفي بيت لأبي يعلى محمد بن صالح المعروف بابن الهبارية الهاشمي البغدادي المتوفى سنة ٥٠٩ (تسع وخمس مئة) فيه قصائد وأراجيز، وهو غرائب مؤلفاته لبث في نظمه عشر سنين ... نظمه للأمير سيف الدولة صدقة بن دبيس... أولاً باب الناسك

---

(١) الفهرست، ص١٨٠.
(٢) مروج الذهب ١/ ٦٦.
(٣) كشف الظنون ٢/ ١٦٠.
(٤) معجم المؤلفين ١٠/ ٨٢.

والفاتك ومناظرتهما، ثم باب البيان ومفاخرة الحيوان، ثم باب الأدب"[١].

تم طبعه في مصر وبيروت[٢].

٤- دور الحكم في أمثال الهنود والعجم: مؤلفه أديب القرن السادس الهجري عبد المؤمن بن حسن الصاغاني. توجد نسخة خطية له في مكتبة فينا (Vianna)[٣].

٥- سلوان المطاع في عدوان الطباع: قام بتحريره أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المعروف بـ (ابن ظفر) (٥٩٨هـ/ ١٢٠٢م)[٤]. ذكر فيه نوادر الأخبار وقوانين الحكمة للحكام والملوك على ألسنة الوحوش والبهائم والطيور. نظمه تاج الدين أبو عبد الله عبد الله بن علي السنجاري (م ٧٩٩هـ). تمت ترجمته إلى الفارسية وتسمَّى بـ (رياض الملوك في رياضات السلوك)[٥]. تم طبعه في بيروت وتونس[٦].

٦- كشف الأسرار عن حكم الطيور والدواب والأزهار:

صاحبه عز الدين عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م)[٧]. يقول عنه السيد فؤاد:

"جعله موعظة لأهل الاعتبار، وضمنه إشارات على ألسنة الطيور والأزهار والحيوانات وأسرار الجمادات"[٨].

---

(١) كشف الظنون ٢/ ١٠٤٩.
(٢) ضحى الإسلام ١/ ٢٢١.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) معجم المؤلفين ١١/ ١٤١.
(٥) كشف الظنون ٢/ ٩٩٨.
(٦) ضحى الإسلام ١/ ٢٢١.
(٧) معجم المؤلفين ٥/ ٢٢٣.
(٨) فهرس المخطوطات المصورة ١/ ٥١٤.

توجد له نسختان خطيتان؛ إحداهما في مكتبة دار الكتب وهي منسوخة في القرن التاسع الهجري، وأخراهما في مكتبة البلدية وهي منسوخة في القرن الثاني عشر الهجري.

٧- فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء: قام بتأليفه أحمد بن محمد الحنفي المعروف بـ (ابن عرب شاه) (٧٩١-٨٥٤هـ/ ١٣٨٩-١٤٥٠م)(١). هذا كتاب شهير(٢) حذا فيه المؤلف حذو كليلة ودمنة. تم طبعه في مصر وغيرها من البلاد مراراً وتكراراً.

٨- الأمثال المنظومة: ألّفه جلال الدين النقاش في القرن التاسع الهجري. توجد نسخة خطية له في مكتبة الآباء اليسوعيين ببيروت، كما لها نسخة خطية في المتحف البريطاني بلندن(٣).

٩- الأسد والغواص: لم يسمِّ المؤرخون مؤلفه. يقول عنه السيد فؤاد:

"وهو كتاب يشتمل على حكم وأمثال وحكايات عن الملوك والوزراء وأرباب الصنائع والحِرف، وضعه مؤلفه على ألسنة الحيوانات ترويحاً للنفوس ككتاب كليلة ودمنة"(٤).

توجد إحدى نسخه الخطية في مكتبة دار الكتب، نسخت في ١٠٠٣هـ بإستانبول.

١٠- سير الملوك(٥): هذه ترجمة بعض أجزاء كليلة ودمنة التي تعالج أصول الحكم والسيطرة على الناس. قام بها عمر بن داود بن سليمان الفارسي، قال عمر في بدايتها:

---

(١) معجم المؤلفين ٢/ ١٢٢.
(٢) كشف الظنون ٢/ ١٢.
(٣) تاريخ القصة والنقد، ص٢٧.
(٤) فهرس المخطوطات المصورة ١/ ٤٢٢.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٤٨٥.

"فلما شرفني الملك العادل أبو الفتح محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ورسم لي بتعريب كليلة المتضمن لما تنتظم المملكة التي هي مزرعة الآخرة ووسيلة الفرقة الناجية، مع الإشارات إلى رموزه الخفية والتنبيهات على كنوزه الحكيمة".

لها نسخة خطية بخط النسخ تم نسخها في ٧٢٧هـ.

وعلاوة على هذه المؤلفات فقد أثر هذا الكتاب في الأدب العربي بحيث جاءت أمثال هندية كثيرة في اللغة العربية بجانب كثرة كاثرة من القصص والمعارف القصيرة التي دخلت اللغة العربية وآدابها، فنذكر - على سبيل المثال - مثلاً عربياً "ألا إني هنت/ وهنت"، ذكره علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورفع ذكره يوم استشهد عثمان بن عفان ﵁. جاء ذكره في كليلة ودمنة. وقد يتطرق الشك إلى أحدهم؛ فكيف يمكن أن يتأثر علي كرم الله وجهه بهذا المثل الهندي وعصره سابق على عصر ابن المقفع؟! يرفع هذا الشك الدكتور عبد المجيد عابدين: لو صحت رواية هذا المثل عن علي كرم الله وجهه، كما صح سبق عهده على عهد ابن المقفع، فيذهب العقل إلى أخذه من الآراميين الذين سكنوا الحجاز أو اليمن والذين علموه عن طريق ترجمة كليلة ودمنة السريانية التي تمت في ٥٧٠ الميلادية[١].

الكتب الهندية الأخرى في فن القصص

١- كتاب البد: لم نظفر بتفصيل عن هذا الكتاب، إلا أن ابن النديم ذكره تحت عنوان (أسماء كتب الهند في الأسماء والأحاديث)[٢] علّق عليه الدكتور حسين مؤنس قائلاً: "ويرجح أنه كتاب البدا على اعتبار أنه

---

(١) قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي، ص٢٨٧.

(٢) الفهرست، ص٣٤٨.

حياة بوذا "[١]. وأنا أراه (كتاب البد) والبد اسم مؤلف ذكر البيروني كتاباً له يسمَّى (جودامن)[٢].

٢- كتاب يوباسف وبلوهر[٣]: تم نقله إلى الفهلوية في العصر الساساني ثم ترجم إلى العربية في العصر العباسي. نظمه أبان بن عبد الحميد. وكذلك تمت ترجمته إلى اليونانية وهي تسمَّى (برلام ويواسف) (Balraam, Jasafat) وهذا هو الاسم الحقيقي للكتاب.

كتب العلامة السيد سليمان الندوي صفحات بحث فيها عن هذا الكتاب وذكر أن تلفظ (يوباسف) هو (بوذاسف)، ولكني أرى أنه كتاب آخر يشير إليه العلامة الندوي.

٣- كتاب سندباد: مؤلفه سندباد الذي كتبه للحاكم الهندي كورش. ذكر المسعودي اسمه الصحيح بـ (كتاب الوزراء السبعة والمعلم وامرأة الملك) وقال: إن هذا هو الكتاب الذي ترجم إلى العربية باسم "كتاب سندباد"[٤].

لهذا الكتاب نسختان، كبرى وصغرى. اختلفوا فيه مثل اختلافهم في أمر كليلة ودمنة، ولكن من الحق أنه عمل الهنود[٥].

٤- كتاب علم الهند: لم نعثر على أي تفصيل عن هذا الكتاب فقد ذكره ابن النديم فحسب، وقال: قام أبان بن لاحق بترجمته العربية المنظومة[٦].

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ٣/ ١٨٠.
(٢) كتاب تحقيق ما للهند، ص٧٥.
(٣) الفهرست، ص٣٤٨.
(٤) مروج الذهب ١/ ٦٧.
(٥) الفهرست، ص٤٣٨.
(٦) المصدر نفسه، ص١٧٨.

٥- كتاب مكر النساء: ذكره اليعقوبي وقال: إن مؤلفه هو الحاكم الهندي كوش[١]. وعلاوة على هذه المؤلفات هناك كتب لا نجد عنها شيئاً سوى أسمائها، وهي: كتاب يوباسف مفرد، وكتاب طرق أدب الهند والصين، وكتاب هابل في الحكمة، وكتاب الهند في قصة هبوط آدم عليه السلام، وكتاب طرق، وكتاب ربك الهندي في الرجل والمرأة، وكتاب حدود منطق الهند، وكتاب ساديرم، وكتاب ملك الهند القتال والسباح، وكتاب شاناق في التدبير، وكتاب بيدبا في الحكمة[٢].

فهابل وطرق ودبك وساويرم أو ساديرم وشاناق وأطر وبيدبا أسماء للكتّاب الهنود الذين تم إليهم عزو هذه الكتب والرسائل.

ثالثاً: القصص القصيرة

وفضلاً عن هذه الكتب والرسائل المستقلة بذواتها فهناك قصص قصيرة لا تحصى، ذكرها الأدباء والكتّاب العرب في مؤلفاتهم آخذين عن الكتب الهندية، والناظر فيها يجبر على الاعتراف بأن عدداً كبيراً من كتب الأدب الهندي تم نقله إلى العربية في القرون الأولى كما حدث مع طب الهند وعلومها الأخرى، وهذه الكتب الهندية الأدبية قد أصبحت الآن جزءاً من أجزاء آداب اللغة العربية، وفيما يلي مثالان من هذا النوع. يقول محمد بن عبدوس الجهشياري المتوفى في ٣٣١هـ/٩٤٣م:

"ومما أستحسنه من شدة التحرز ما حكي في كتاب من كتب الهند..."[٣].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/ ٩٤.

(٢) الفهرست، ص٤٣٨.

(٣) كتاب الوزراء والكتاب، ص٨.

ثم ذكر القصة التالية:

"أنه أهدي لملك الهند ثياب وحلي، فدعا بامرأتين له وخيّر أحظاهما عنده باللباس والحلية، وكان وزيره حاضراً، فنظرت المرأة إليه كالمستشيرة له فغمزها باللباس تغضيناً بعينه، ولحظه الملك، فاختارت الحلية لئلا يفطن للغمزة، ومكث الوزير أربعين سنة كاسراً عينه لئلا تقرّ تلك في نفس الملك، وليظنّ أنها عادة أو خلقة، وصار اللباس للأخرى فلما حضرت الملك الوفاة قال لولده: توصّ بالوزير خيراً فإنه اعتذر من شيء يسير أربعين سنة"[١].

وقد ذكر ابن قتيبة القصة التالية محيلاً إلى واحد من كتب الهند:

"أن ناسكاً كان له عسل وسمن في جرة، ففكّر يوماً فقال: أبيع الجرة بعشرة دراهم، وأشتري خمس أعنز فأولدهن في كل سنة مرتين؛ ويبلغ النتاج في سنين مئتين، وأبتاع بكل أربع بقرةً، وأصيب بذراً فأزرع، وينمي المال في يدي؛ فأتخذ المساكن والعبيد والإماء والأهل، ويُولَد لي ابن فأسميه كذا وآخذه بالأدب، فإن هو عصاني ضربت بعصاي رأسه. وكانت في يده عصا فرفعها حاكياً للضرب، فأصابت الجرة فانكسرت وانصب العسل والسمن على رأسه"[٢].

رابعاً: الأمثال والحكم

هذا فن رغب فيه العرب بشدة؛ فأثره فيهم منذ زمن سحيق للغاية. يبدو أن العرب أخذوا جواهر الهنود الحكمية مثل علومهم وآدابهم. ففي كتب

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) عيون الأخبار ١/٢٦٣. القصة نفسها مذكورة في كليلة ودمنة فراجع "مثل الناسك وجرة السمن والعسل" (المترجم).

العرب مثل ابن قتيبة وابن عبد ربه الأندلسي وغيرهما، حكم ومعارف تم أخذها من الكتب والرسائل الهندية. نذكر طرفاً منها فيما يأتي:

١- شرُّ المال ما لا ينفق منه. وشر الإخوان الخاذل. وشر السلطان من خانه البريء. وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن[١].

٢- ثلاثة أشياء لا تنال إلا بارتفاع همة وعظيم خطر؛ عمل السلطان وتجارة البحر ومناجزة العدو[٢].

٣- ذو الهمة إن حطّ فنفسه تأبى إلا علواً، كالشعلة من النار يصوبها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعاً[٣].

٤- ليس من خلة يمدح بها الغني إلا ذم بها الفقير؛ فإن كان شجاعاً قيل أهوج وإن كان وقوراً قيل بليد، وإن كان لسَّاناً قيل مهذار، وإن كان زميتاً قيل عييٌّ[٤].

٥- العالم إذا اغترب فمعه من علمه كافٍ؛ كالأسد معه قوته التي يعيش بها حيث توجه[٥].

٦- إن السلطان لا يقرِّب الناس لقرب آبائهم ولا يبعدهم ولكن ينظر ما عند كل رجل منهم فيقرب البعيد لنفعه ويبعد القريب لضرِّه. وشبهوا ذلك بالجرذ الذي هو في البيت مجاور فمن أجل ضرّه نُفي، والبازي الذي هو وحشي فمن أجل نفعه اقتني[٦].

---

(١) المصدر نفسه، ١/ ٣.
(٢) المصدر نفسه، ١/ ٢٣١.
(٣) المصدر نفسه، ١/ ٢٣٩.
(٤) المصدر نفسه، ١/ ٢٣٩.
(٥) المصدر نفسه، ٢/ ١٢١.
(٦) العقد الفريد ١/ ٧٠.

٧- إذا أحدث لك العدو صداقة لعلة ألجأته إليك فمع ذهاب العلة رجوع العداوة، كالماء تسخنه فإذا سكت عنه عاد إلى أصله بارداً، والشجرة المرة لو طليتها بالعسل لم تثمر إلا مرّاً[١].

٨- الحازم يحذر عدوه على كل حال؛ يحذر المواثبة إن قرب والمعاودة إن بعد والكمين إن انكشف والاستطراد إن ولّى والكرّة إن فرّ[٢].

٩- ينبغي للعاقل أن يدع التماس ما لا سبيل إليه وإلا عُدّ جاهلاً، كرجل أراد أن يجري السفن في البر والعجل في البحر وذلك ما لا سبيل إليه[٣].

١٠- إحسان المسيء أن يكف عنك أذاه، وإساءة المحسن أن يمنعك جدواه[٤].

١١- إن الرجل السوء لا يتغير عن طبعه كما أن الشجرة المرة لو طليتها بالعسل لم تثمر إلا مرّاً[٥].

١٢- السلطان مثل النار: إن تباعدت عنها احتجتَ إليها، وإن دنوت منها أحرقتك[٦].

١٣- إذا كان الوزير يساوي الملك في المال والهبة والطاعة من الناس فليصرعه الملك، فإن لم يفعل فليعلم أنه المصروع[٧].

---

(١) المصدر نفسه، ١/ ٢١٥.
(٢) المصدر نفسه، ١/ ١٢٣-٣١٤.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه، ٢/ ١٦٨.
(٦) المصدر نفسه، ٣/ ١٣٥.
(٧) كتاب الوزراء والكتاب، ص٨ ومعظم الحكم المذكورة أعلاه منقولة في كتاب كليلة ودمنة (المترجم).

هذه هي الحكم والمعارف الهندية التي توجد في مختلف الكتب والرسائل العربية، دون الإشارة إلى مصادرها. وفضلاً عن هذه فإن محمد بن الوليد الطرطوشي المتوفى في ٥٢٠هـ/١٢٢٦م قد وضع في كتابه (سراج الملوك) فصلاً مستقلاً بحكم شاناق الهند، ذكر فيه أقوالاً عديدة لشاناق، نصح فيها الملوك وعمال الولايات. قال الطرطوشي: إن هذا الفصل الكامل يشتمل على كتاب (منتحل الجواهر) لشاناق[1].

عمت هذه الحكم والأمثال الهندية الأدبَ العربي إلى حد جعل الشعراء ينظمون معانيها ومفاهيمها، وفيما يلي مثالان لهذا، يقول ابن قتيبة:

"وفي كتاب للهند: لا ينبغي اللجاج في إسقاط ذي الهمة والرأي وإزالته؛ فإنه إما شرس الطبع كالحية إن وطئت فلم تلسع لم يغتر بها فيعاد لوطئها، وإما سجح الطبع كالصندل البارد إن أفرط في حكه عاد حاراً مؤذياً"[2].

وهذه الأفكار المذكورة أعلاه جاءت في شعر أبي نواس الذي قال:

قل لزهير إذا حدا وشدا ... أقلل أو أكثر فأنت مهذار
سخنت من شدة البرودة حتى ... صرت عندي كأنك النار
لا يعجب السامعون من صفتي ... كذلك الثلج بارد حار

قال ابن قتيبة بعد نقل هذه الأبيات:

"وهذا الشعر يدل على نظرة في علم الطبائع، لأن الهند تزعم أن الشيء إذا أفرط في البرد عاد حاراً مؤذياً".

حتى لقد تأثر الشعراء بأقوال الهنود في الفلك، قال أبو نواس في الخمر:

---

(١) سراج الملوك، ص٢٣١.
(٢) طبقات الشعراء، ص٥٠٦.

تُخُيِّـرَت والنُّجُـومُ وُقَّـف   لم يـتـمـكـن بهـا المَـدَرُ

"يريد أن الخمر تخيرت حين خلق الله الفلك، وأصحاب الحساب يذكرون: أن الله تعالى حين خلق النجوم جعلها مجتمعة واقفة في برج، ثم سيّرها من هناك. وأنها لا تزال جارية حتى تجتمع في ذلك البرج الذي ابتدأها منه، وإذا عادت إليه قامت القيامة وبطل العالم، والهند تقول: إنه في زمان نوح اجتمعت في الحوت إلا يسيراً منها، فهلك الخلق بالطوفان، وبقي منهم بقدر ما بقي منها خارجاً عن الحوت"(١).

خامساً: النصائح والمواعظ

أثر شاناق الهندي كتاباً شهيراً في هذا الفن وهو (منتحل الجواهر) الذي قال فيه المؤرخون: إنه كتب هذه الرسالة لابن قمانص حاكم عصره(٢). كان هذا الكتاب متوافراً حتى القرن السابع الهجري، ولذلك توجد مقتبسات كثيرة منه في مؤلفات محمد بن الوليد الطرطوشي المتوفى في ٥٢٠هـ، وابن أبي أصيبعة المتوفى في ٥٥٨هـ. وفيما يلي مقتبس منه مذكور في عيون الأنباء في طبقات الأطباء:

"يا أيها الوالي اتق عثرات الزمان، واخش تسلط الأيام ولوعة غلبة الدهر، واعلم أن للأعمال جزاء فاتَّقِ عوائق الدهر والأيام، فإن لها غدرات فكن منها على حذر، والأقدار مغيبات فاستعد لها والزمان منقلب فاحذر دولته، لئيم الكرة فخف سطوته، سريع الغرة فلا تأمن دولته. واعلم أن من لم يداوِ نفسه من سقام الآثام في أيام حياته فما أبعده من الشفاء في دار لا دواء لها، ومن أذل حواسه واستبعدها فيما تقدم من خير لنفسه أبان فضله وأظهر نبله، ومن لم يضبط نفسه وهي واحدة ولم يضبط

---

(١) المصدر نفسه، ص٥٠٤.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢/ ٣٣.

حواسه مع قلتها وذلتها صعب عليه ضبط الأعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم فكانت عامة الرعية في أقاصي البلاد وأطراف المملكة أبعد من الضبط "[١].

ولشاناق مؤلَّف آخر تمت ترجمته إلى العربية، وهو (كتاب في الآداب). قال عنه ابن النديم: إنه يحتوي على خمسة أبواب[٢].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الفهرست، ص٤٥٣.

المجالات الأخرى التي تأثرت فيها العرب بالهند

أوّلاً: علم الكيمياء (Chemistry)

علم الكيمياء من أشرف علوم المسلمين. صنفوا فيه كتباً كثيرة بنى عليها علماء أوربة وطوّروه. فالفرق بينهم وبين علمائنا أن هذا العلم قد توقف على نقطة معينة في المسلمين، ومن ثم أخذته أوربة وطوّرته إلى حيث نراه اليوم. يعدُّ الإيرانيون موجديه، ولكن ابن النديم ذكر من بين موجديه اليونانيين والهنود والصينيين، فيثبت أن هذه البلاد كانت تعرف عن هذا العلم[١].

ومما تمت ترجمته من الكتب في اللغة العربية كتابٌ لخاطف الهندي[٢]، ذكره ابن النديم الذي ذكر كتاباً آخر باسم (كتاب إلى خاطف)[٣] عند ذكر مؤلفات جابر بن حيان. ولعله هو خاطف الهندي الذي أشرت إليه آنفاً.

ثانياً: الشعبذة والسحر (Magic)

هذا فن قديم للهند؛ فقد قال ابن النديم في هذا العلم ووجوده في الهند وترجمة كتب الهندوس إلى العربية[٤]: إن الهنود يعتقدون بالسحر

(١) الفهرست، ص٥٢١.
(٢) المصدر نفسه، ٥١٧.
(٣) المصدر نفسه، ص٥١٥.
(٤) المصدر نفسه، ص٤٤٤.

كثيراً ولهم اليد الطولى فيه. إنهم كتبوا مؤلفات في هذا الفن، ترجم بعضها إلى العربية. من أبرزهم سسه[١] الذي ألّف كتاباً اتبع فيه مذهب أهل الخرافات، وكذلك صنّف كنكا كتاباً فيه يُسمّى (كتاب في التوهم)[٢].

ثالثاً: الفال والزجر

لهذين الفنين علاقة وطيدة مع الهند. ترجم فيهما كتابان من الهندية إلى العربية وهما (كتاب زجر الهند) و(كتاب خطوط الكف والنظر في البد للهند)[٣].

رابعاً: السياسة وفن الحرب

ترجم في هذا الفن ثلاثة كتب هندية أحدها لشاناق، وهو يدلّ على تدبير الحرب واختيار الجنود وتوزيع الفرسان والأطعمة والسموم[٤]. وثانيها لباجهر الهندي وهو يتحدث عن معرفة السيوف وصفاتها وعلاماتها[٥]. وثالثها (أدب الملك) والملك هنا للمملكة. لم نعثر على مؤلفه إلا أنه ترجم إلى العربية بقلم صالح بن شعيب، واليوم ليس له أثر سوى ترجمته الفارسية التي قام بها أبو الحسن بن علي الجيلي في ٤١٧هـ، وكان أمين عام مكتبة أمير ديلمي[٦].

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٤٨.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٩٢.
(٣) المصدر نفسه، ص٤٥٠.
(٤) المصدر نفسه، ص٤٥١.
(٥) المصدر نفسه، ص٤٥١.
(٦) عرب وهند كي تعلقات، ص١٥٩.

مهابهارتا (Mahabharata): يحفظ كتاب فارسي عن تاريخ الهند القديم في مكتبة بيرس، اسمه (مجمل التواريخ). ذكر فيه كثير من قصص مهابهارتا. كتب في مقدمته أن أبا صالح بن شعيب قام بترجمته من السنسكريتية إلى العربية، ثم في ٤١٧هـ ترجمه أبو الحسن علي الجيلي أمين عام مكتبة أمير ديلمي إلى اللغة الفارسية. لخصه إيليت باللغة الإنجليزية(١).

خامساً: الشطرنج (Chess)

هذا من ألعاب العالم الشهيرة ودليل قاطع على ذكاء الهنود وعقولهم المتفلسفة. قال عنه القاضي صاعد الأندلسي:

"ومما وصل إلينا من نتائج فكرهم الصحيحة ومولدات عقولهم السليمة وغرائب صنائعهم الفاضلة الشطرنج"(٢).

اختلف المؤرخون في موجد هذا الفن، وأشار إليه المسعودي فقال:

"ولليونانيين والروم وغيرهم من الأمم في الشطرنج كلام ونوع من اللعب بها؛ وقد ذكر ذلك الشطرنجيون في كتبهم ممن تقدم منهم إلى الصولي والعدلي، وإليهما كان انتهاء اللعب بالشطرنج في هذا العصر"(٣).

ولعل هذا هو السبب وراء دعوى الإيرانيين بأن الشطرنج معرب لـ (شش رنگ) و(هشت رنگ) ولكنها جبر وظلم وقول مفترى؛ فإن هذا التعريب يخالف أصول تعريب العرب وذوقهم؛ فإن عرّبناها على أصولهم

---

(١) المصدر نفسه، ص١٥٩.
(٢) طبقات الأمم، ص٢١.
(٣) مروج الذهب ١/ ٦٧.

فهي تكون (شش رنج) والواقع أن هذه الكلمة تعريب تشترانغ (Chatrang) التي تعني صاحب أربعة أعضاء فعرِّب (چ) بـ (ش) و(ت) بـ (ط) و(گ) بـ (ج) حسب أصول تعريب العرب القدامى.

كتب علماء أوربة بحوثاً ومقالات تحقيقية وبلغوا إلى أنه من إبداعات الهند، فقد قال السير وليم جونس: إن بيدبا طبيب بلاط دبشليم وضع هذا اللعب فأهداه الحاكم إلى أنوشيروان الكسرى ومن ثم انتشر في العالم كله.

اتفق اليعقوبي (٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) والمسعودي (٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) على أنه مما أوجدته الهند ووفّرا تفاصيل عنه. نذكر فيما يلي بيان اليعقوبي؛ يقول:

"وملك بلهيت وقد غلب على أهل المملكة هذا الدين، وكان له عقل ومعرفة، فلما رأى ما عليه أهل مملكته ساءه ذلك، وبلغ منه، ثم سأل: هل بقي رجل على دين البرهمية؟ فدُلّ على رجل له عقل ودين، فأرسل إليه، فلمّا أتاه أكرمه، ورفع درجته، ثمّ ذكر له ما قد فشا في أهل مملكته، فقال: أيّها الملك! أنا أقيم برهاناً أضطرّ به، ويعرف به فضل الحازم، وموضع تقصير العاجز، وأجعلها صورة بين اثنين ليبيّن فضل الحازم على العاجز، والمجتهد على المقصر، والمحتاط على المضيع، والعالم على الجاهل، فوضع الشطرنج، وتفسيرها بالفارسية هشت رنج، وهشت ثمانية، ورنج صفح، وصيّرها ثمانية في ثمانية، فصارت أربعة وستّين بيتاً، وصيّرها اثنين وثلاثين كلباً، مقسومة بين لونين، كلّ لون ستّة عشر كلباً، وقسم الستّة عشر على ستّ صور: فالشاه صورة، والبيادق صورة، فاشتق ذلك من زوج الزوج، وهو أحسن ما يكون من الحساب لأن الأربعة والستّين، إذا قسمتها، كان لها نصف، وهو اثنان وثلاثون، وهي عدّة جميع الكلاب، وإذا نصفت الاثنين والثلاثين كان لها نصف، وهو ستّة عشر، وهو ما لكلّ واحد من الكلاب، وإذا نصفت الستّة عشر

كان لها نصف، وهو ثمانية، وهي عدة بيادق كل واحد، فإذا نصفت الثمانية كان لها نصف، وهو أربعة، وهو الرخّان والفرسان من كلّ واحد، فإذا نصفت الأربعة كان لها نصف، وهو اثنان، فقد انقسمت أزواجاً ولم يبق في القسم بعد الأزواج إلا الواحد الذي يقسمها كلّها آحاداً، وهو ليس بعدد، ولا معدود، ولا زوج، ولا فرد، لأنّ أوّل أعداد الفرد ثلاثة.

ثم قال الحكيم: ليس شيء أجلّ من الحرب، لأنه يبيّن فيها فضل التدبير، وفضل الرأي، وفضل الحزم، وفضل الاحتياط، وفضل التعبية، وفضل المكيدة، وفضل الاحتراس، وفضل النجدة، وفضل البأس، وفضل القوة، وفضل الجلد، وفضل الشجاعة، فمن عدم منه شيء من هذا عرف موضع تقصيره لأنّ خطأها لا يستقال، والعجز فيها متلف للمهج، والجهل مبيح للحمى، وترك الحزم ذهاب الملك، وضعف الرأي جلب للعطب، والتقصير سبب للهزيمة، وقلّة العلم بالتعبية داعية الانكشاف، وقلّة المعرفة بالمكيدة تهور إلى الهلكة، وترك الاحتراس نهزة للعدو؛ وجعلها على مثال الحرب، فإن أصاب ظفر وإن أخطأ هلك.

فلمّا رأى الملك صحّة البرهان، وتبيّن فضل حكمة الحكيم، وعلم أن قد أصاب وأحسن التمثيل، وأبان عمّا قد عمي عنه، جمع أهل مملكته، فعرفهم ما كشف الله عنهم من الغمّ، وأمرهم أن يقيموها ويتأمّلوها، وقال لهم: قد علمنا أن ليس في العالم حي ناطق، مفكر، ضاحك، عاقل، إلا الإنسان، فالإنسان عليه مدار جميع ما في العالم، لأن الفلك بجميع ما فيه خلقه الخالق للإنسان ليعرف به ما يحتاج إليه من زمانه وأوقاته، وكذلك ذلّل له جميع ما في الأرض، وكلّ ما خلق الله مما في قعر البحر، وجو السماء ورؤوس الجبال، فلما ملك الإنسان جميع ما خلق قسم ذلك الإنسان ثلاثة أقسام فأكل ثلاثاً، وسخّر ثلاثاً، وقتل ثلاثاً:

فأكل الطير والسمك وما شاء من النعم والإبل، وسخّر البقر والحمير والدوابّ، وقتل السباع والحيات والهوامّ؛ ثم جعل فيه آلات يعلم بها، ويعقل بها، ويدرك بها، ويفهم، ففضل الناس بعضهم بعضاً بالعلم والعقل والفهم"(١).

ثم إنه يذكر رواية أخرى وهي:

"وقد زعم علماء من علماء الهند أنّه لما ملكت حوسر بنت بلهيت خرج عليها خارجيّ، وكانت جارية عاقلة، فوجهت ابناً لها، وكان لها أربعة أولاد، فقتل ذلك الخارجي ابنها، فعظّم ذلك أهل مملكتها، وأشفقوا من إخبارها، فاجتمعوا على حكيم من حكمائهم يقال له قفلان، وكان ذا حكمة وفطنة ورأي، فذكروا ذلك له، فقال: أنظروني ثلاثاً! ففعلوا ذلك وخلا مفكراً، ثم قال لتلميذ له: أحضرني نجّاراً وخشباً من لونين مختلفين، أبيض وأسود، فأحضره نجّاراً فارهاً، وخشباً من لونين مختلفين، أبيض وأسود، فصوّر صورة الشطرنج، وأمر النجار، فنجرها؛ ثمّ قال له: أحضرني جلداً مدبوغاً! فأمره أن يخطّ فيه أربعة وستّين بيتاً، ففعل ذلك، فنصب ناحية، ثم تجاولا حتى فهماها وأحكماها، ثم قال لتلميذه: هذه حرب بلا ذهاب أنفس.

ثم حضره أهل المملكة، فأخرجها لهم، فلمّا رأوها علموا أنّها حكمة لا يهتدي لها أحد؛ وجعل يجاول تلميذه، فيقع شاه مات، وشاه غلب، فأخبرت الملكة بخبر قفلان، فأحضرته، وأمرته أن يريها حكمته، فأحضر تلميذه، ومعه الشطرنج، فنصبها بينه وبينه، فلعبا فغلب أحدهما صاحبه، فقال: شاه مات! فانتبهت، وعلمت ما أراداه، وقالت لقفلان: أَقُتِلَ ابني؟ قال: أنت قلت! فقالت لحاجبها: أدخل الناس يعزّوني. فلمّا فرغت

(١) تاريخ اليعقوبي ١/ ٩٠- ٩٢.

أحضرت قفلان وقالت له: سل حاجتك! فقال: أسأل أن أعطى قمحاً بعدد بيوت الشطرنج، أعطى في البيت الأول حبة وفي الثاني اثنتين، ثم يضعف ذلك لي في البيت الثالث على الثاني، ثم على هذا الحساب إلى آخرها.

قالت: وما مقدار هذا؟ ثم أمرت بالحنطة أن تحضر، فلم يقم لذلك شيء حتى أنفدت قموح البلد، ثم قوّم القمح بالمال حتى فني المال، فلما كثر ذلك قال: لا حاجة لي به! إن قليل الدنيا يكفيني.

ثم سألته عن عدد الحبّ الذي سأل، فقال لها: يكون ذلك عدداً، وهذا ما في الشطرنج من العدد: السطر الأول مئتان وخمسة وخمسون.

الثاني اثنان وثلاثون ألفاً وسبع مئة وثمانية وستّون.

الثالث ثمانية آلاف ألف وثلاث مئة وثمانية وثمانون ألفاً وست مئة وثمانية.

الرابع ألفا ألف ألف، ومئة وسبعة وأربعون ألف ألف، وأربع مئة وثلاثة وثمانون ألفاً، وستّ مئة وثمانية وأربعون.

الخامس خمس مئة وتسعة وأربعون ألف ألف ألف، وثماني مئة ألف، وثلاثة عشر ألفاً، وثماني مئة وثمانية وثمانون.

السادس مئة وأربعون ألف ألف ألف ألف، وسبع مئة وسبعة وثلاثون ألف ألف ألف، وأربع مئة وثمانية وثمانون ألف ألف، وثلاث مئة وخمسة وخمسون ألفاً، وثلاث مئة وثمانية وعشرون.

السابع ستّة وثلاثون ألف ألف ألف ألف ألف، وثمانية وعشرون ألف ألف ألف، وسبع مئة وسبعة وتسعون ألف ألف ألف، وثمانية عشر ألف ألف، وتسع مئة وثلاثة وستّون ألفاً، وتسع مئة وثمانية وستّون.

الثامن تسعة آلاف ألف ألف ألف ألف ألف، ومئتان وثلاثة وعشرون ألف ألف ألف ألف ألف، وثلاث مئة واثنان وسبعون ألف ألف ألف ألف، وستة وثلاثون ألف ألف ألف، وثماني مئة وأربعة وخمسون ألف ألف، وسبع مئة وخمسة وسبعون ألفاً، وثماني مئة وثمانية؛ يكون جميع ذلك في الشطرنج الثمانية ثمانية عشر ألف ألف ألف ألف ألف ألف، وأربع مئة وستة وأربعين ألف ألف ألف ألف ألف، وسبع مئة وأربعة وأربعين ألف ألف ألف ألف، وثلاثة وسبعين ألف ألف ألف، وسبع مئة وتسعة آلاف ألف وخمس مئة وواحداً وخمسين ألفاً وستّ مئة وخمسة عشر "[1].

جاء هذا اللعب إلى المسلمين عن طريق إيران كما حدث مع كليلة ودمنة ولعل هذا حدث في العصر العباسي. قام المسلمون بتطويره البالغ حتى إن بعض الناس قد مهروا فيه إلى حد تسمّوا بـ (الشطرنجي) وأصبح موضوعاً مستقلاً للأدب العربي فنال درجة معلومة في منظومهم ومنثورهم، فقد ذكره ابن الرومي- مثلاً- كثيراً في ذكر أبي القاسم التوزي الشطرنجي الذي يقول:

تَـهْـزِمُ الجـمـع أوْحَـدِيّـاً وتُـلـوِي بـالـصّـنـاديـد أيّـمـا إلْـوَاء
وتحُـطُّ الـرِّخـاخَ بـعـد الـفَـرَازِيـنِ فـتـزداد شـدّةَ اسـتـعْـلاء
ربّـمـا هـالَـنـي وحيَّـر عـقـلـي   أخْـذُك الـلاعـبـين بـالـبـأسـاء
ورِضـاهُـم بـالـنـصـف والـربْـع وأدْنى رِضَـاكَ في الإرْبـاء!
واحتراسُ الدُّهاة منك وإغْصا   فـك بـالأقـويـاء والـضـعـفـاء
عَن تدابيرك اللِّطافِ اللّواتي   هُنَّ أخفى من مُسْتسرِّ الهباء
بل من السرّ في ضمير مُحِبٍّ   أدّبَـتْـهُ عـقـوبـةُ الإفـشـاء
فأخالُ الذي تُديرُ على القَوْ   م خُـروبـاً دوائـر الأرْحَـاء
وأظنُّ افتراسَك القِرْنَ فالقِرْ   نَ مـنـايـا وشـيـكـة الإرْدَاء

(١) المصدر نفسه ١/ ٩٢-٩٣، ومروج الذهب ١/ ٩١-٩٢ و ٤٢٦.

وأرى أنّ رقْعَة الأدَم الأحْمرِ أرْضاً جَلّلتَها بدماء
غلِط الناسُ؛ لست تلعبُ بالشطرنج! لكن بأنفس اللُّعَباء
لك مكرٌ يدِبُّ في القوم أخفى من دَبِيب الفناء في الأعضاء
أو دبيبِ المَلال في مُسْتها مَيْن إلى غاية من البَغضاء!
أو مسيرِ القضاء في ظُلَم الغَيْب إلى من يريدهُ بالتَّوَاءِ
تقْتل الشاةَ حيثُ شِئْتَ من الرقعة طَبا بالقِتْلَة النّكراء
غير ما ناظرٍ بعينَيْكَ في الدَّسْتِ ولا مقبلٍ على الرُسَلاء
بل تراها وأنت مُستَدْبِرُ الظَّهر بقلب مُصوّرٍ من ذَكَاء
ما رأينا سِواكَ قرْناً يُوَلّي وهو يُرْدِي فوراسَ الهَيْجاء
رُبَّ قوم رأوْكَ ريعوا فقالوا هل تكونُ العُيونُ في الأقفاء؟!
تقرأ الدَّسْتَ ظاهراً فتؤدّ به جميعاً كأحفظِ القُرّاء[١]!

ابتدأ هذا بلعب ثم طوّره المسلمون وجعلوه علماً صنّفوا فيه الكتب والرسائل، فقد وضع ابن النديم في الفهرست عنواناً مستقلاً بالشطرنجيين ذكر فيه المؤلفين المذكورين أدناه:

١- العدلي: هو أول من صنّف في هذا العلم فكتابه يعرف بـ (كتاب الشطرنج)، وكذلك قام بتأليف كتاب في النرد سمّاه (كتاب النرد وأسبابها واللعب بها)[٢]. ولكن من الأسف أن المؤرخين لم يكتبوا شيئاً عن حياته وأعماله، كما ذهب الدهر بكتبه هذه.

٢- الرازي: من هو؟ لا ندري ولا كتب ابن النديم عنه إلا هذا القدر بأنه مثل العدلي وكلاهما كان يلعب الشطرنج قدام الخليفة المتوكل. وقد قام أيضاً بتأليف كتاب في هذا العلم[٣].

---

(١) ضحى الإسلام ١/ ٢٥١.
(٢) الفهرست، ص٢٢١.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٢٦.

٣- أبو العباس أحمد بن محمد السرخسي (م ٢٨٦هـ): هذا أيضاً صاحب مؤلَّف في هذا العلم (وهو كتاب الشطرنج)[١].

٤- أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (م ٣٣٠هـ): كان من مهرة زمانه في الشطرنج[٢]. له كتابان في هذا العلم وهما (كتاب الشطرنج النسخة الأولى) و(كتاب الشطرنج النسخة الثانية)[٣].

٥- أبو الفرج محمد عبيد الله اللجلاج (م ٣٦٠هـ): كان ممن عاصر ابن النديم صاحب الفهرست. قام بتأليف (منصوبات الشطرنج) في هذا الفن[٤].

٦- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن صالح بن الأقليدسي: كان ماهراً في الشطرنج. ذكر ابن النديم كتاباً له يسمَّى (مجموع منصوبات الشطرنج)[٥].

يبدو أن المسعودي (م ٣٤٦هـ) قد رأى هذه الكتب كلها كما هو ظاهر من كلامه "وذكر ذلك الشطرنجيون في كتبهم".

سادساً: النرد (Backgammon)

هذا لعب آخر مثل الشطرنج. يسمّيه العرب بالنرد. جاء ذكره كثيراً في الأحاديث، ما يدلّ على أنه بلغ العرب في بدء الإسلام وكانوا يلعبون به عادةً. أوجده الهنود مثل الشطرنج، والفرق ليس بينهما إلا أن الشطرنج يبنى على مسألة الاختيار والنرد قائم على مسألة الجبر. فقد ذكر موجده هذه الفلسفة أمام الحاكم فقال:

---

(١) كشف الظنون ٢/ ١٤٣.
(٢) الفهرست، ص٢٢١.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٢٧.
(٤) المصدر نفسه، ص٢٢٨.
(٥) المصدر نفسه، ص٢٢٨.

"وقال بعض علماء الهند إن أهل بلاد الهند تواتر عليهم الموت، حتى ذهب علماؤهم، وضعف الملك، وإنه لمّا ملك هشران طلب من يحيي له شرائع دين آبائه، فأتاه قفلان، وكان داهية، فقال له: إنّ الناس جزء من الحيوان؛ وإن الحيوان جزء من النامي؛ وإن النامي من الطبائع الأربع التي هي: النار والهواء والأرض والماء؛ وإن النامي ينقسم على ثلاثة أقسام: أحدها النبات، وله النموّ فقط؛ والثاني ما يكون في البحر من الأصداف وما أشبهها، وله نموّ وحسّ؛ والثالث الحيوان البريّ، وله نموّ وحسّ وحركة؛ وإنّ الحيوان أقلّ وأحقر من أن يدبّرهم الخالق، وإنّما يدبّرهم ويصرفّهم الفلك.

فقال له الملك: أرني صورة ما تقول وبرهانه! فوضع النرد، وقال: اتفق الناس على أن دور الزمان سنة، ومعناها اثنا عشر شهراً، ومعناها البروج الاثنا عشر؛ وعلى أن أيّام الشهر ثلاثون يوماً، ومعناها لكل برج ثلاثون درجة؛ وعلى أن الأيام سبعة؛ ومعناها الكواكب السبعة السيارة؛ ثم جعل تشبيهاً لذلك، فوضع عرصة شبيهة بالسنة، وصيّر فيها أربعة وعشرين بيتاً عدد ساعات الليل والنهار، في كل ناحية اثنا عشر بيتاً تشبيهاً بشهور السنة والبروج؛ وصيّر لها ثلاثين كلباً تشبيهاً بأيّام الشهر ودرج البروج؛ وصيّر الفصين تشبيهاً بالليل والنهار، وفي كلّ فصّ ستّ جهات، لأنّه عدد تام له نصف وثلث وسُدُس، في كل فص، إذا سقط من أعلاه وأسفله، سبع نقاط: تحت الستّ واحدة، وتحت الخمس اثنتان، وتحت الأربع ثلاث، تشبيهاً بعدد الأيام والكواكب السبعة السيّارة، وهي: الشمس، والقمر، وزحل، والمشتري، والمرّيخ، وعطارد، والزهرة، ثم جعلها محنة بين رجلين، وأعطى كل واحد فصاً، وقال: من أعطيته هذه السبع النقاط من أعلاها أكثر من صاحبه بدأ، فاجتمع له الفصان، فضرب، و ما ظهر من الفصين تقلب الكلاب عليه، وجعل ذلك تمثيلاً

للحظ الذي يناله العاجز بما جرى له الفلك، والحرمان الذي يبتلى به الحازم، على حسب ما يجري له الفلك؛ فلما ظهر ذلك قبله الملك، وفشا في أهل المملكة، وصار أهل الهند تجري أمورها بما تدبّره الكواكب السبعة السيّارة»[١].

(١) تاريخ اليعقوبي ١/٨٩-٩٠.

ثبت المراجع والمصادر

(المختارة)

١. أبو الحسن المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٨م.

٢. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، طبعة دار الكتب المصرية.

٣. أبو عثمان الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٣٨م.

٤. أحمد أمين: ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت.

٥. أحمد فريد رفاعي: عصر المأمون، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٨م.

٦. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، ١٩٦٥م.

٧. ابن الطقطقي: الفخري، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، مصر.

٨. ابن المقفع: آثار ابن المقفع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

٩. ابن المقفع: كليلة و دمنة، مطبعة الكوثر، أعظم كره، الهند.

١٠. ابن النديم: الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨م.

١١. جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٩٢م.

١٢. جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، القاهرة، ١٩٣٨م.
١٣. الدكتور جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٦٨م.
١٤. الدكتور حسين عطران: الزندقة و الشعوبية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٤م.
١٥. الدكتور عامر النجار: حركة الترجمة وأعلامها في العصر العباسي، دار المعارف، ١٩٩٣م.
١٦. الدكتور عبد الجبار الجومرد: هارون الرشيد، المكتبة العمومية، بيروت، ١٩٥٦م.
١٧. الدكتور علي عبد الله الدفاع: أسماء علماء المسلمين في الرياضيات، تعريب وتعليق الدكتور جلال شوقي، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
١٨. الدكتورة فتحية النبراوي: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، الدار السعودية، جدة، ط٣، ١٩٨٥م.
١٩. الدكتور ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٥م.
٢٠. زكريا القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٣٨٠هـ.
٢١. السيد غلام عي آزاد البلكرامي: سبحة المرجان في آثار هندوستان، تحقيق: الدكتور فضل الرحمن الندوي السيواني- معهد الدراسات الإسلامية، جامعة علي كره الإسلامية، علي كره، الهند، ط١، ١٩٧٦م.
٢٢. صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩١٢م.
٢٣. الصولي: أخبار الراضي بالله والمتقي لله، القاهرة، ١٩٣٥م.

٢٤. عبد الرزاق نوفل: المسلمون والعلم الحديث، مكتبة طابع، ط١.

٢٥. علي محمد راضي: المأمون العباسي، الدار القومية للطباعة والنشر.

٢٦. القاضي أبو المعالي أطهر المباركفوري: رجال السند والهند، المطبعة الحجازية، بومبائي، حزيران/ يونيو، ١٩٥٨م.

٢٧. مريم سلامة-كار: الترجمة في العصر العباسي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٨م.

٢٨. المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٦م.

٢٩. الملا حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مطبعة العالم، ١٣١٠هـ.

٣٠. ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية.

٣١. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٧٤هـ.

٣٢. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت.

الفارسية والأردية

٣٣. حبيب حسين: البرامكة عروج المسلمين وانحطاطهم، مطبع دلهي، ط٢.

٣٤. الدكتور ذبيح الله صفا: تاريخ الأدب الفارسي، مكتبة السفارة الكبرى، جمهورية إيران، دلهي الجديدة، ط٢، ١٣٣٥هـ.

٣٥. الدكتور ذبيح الله صفا: تاريخ العلوم العقلية في الحضارة الإسلامية، مطبوعات جامعة طهران، ط٣، ١٣٤٦هـ.

٣٦. السيد سليمان الندوي: عرب وهند كي تعلقات (علاقات العرب بالهند)، دار المصنفين، أعظم كره، ١٩٨٥م.

٣٧. العلامة شبلي النعماني الهندي: المأمون، أفضل المطابع، دلهي تشرين الأول/ أكتوبر، ١٨٨٩م.

٣٨. محمد عبد الرزاق الكانفوري: البرامكة، مطبع نولكشور لاهور.

٣٩. وسيم أحمد الأعظمي: الخدمات الطبية لبيت الحكمة، ١٩٨٨م.

المجلات

٤٠. (مجلة مكتبة خدا بخش) الفصلية الصادرة عن مكتبة خدا بخش العامة الشرقية، بتنه، ولاية بهار.

٤١. مجلة (ثقافة الهند) الفصلية الصادرة عن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيو دلهي.

٤٢. مجلة (جامعة) الفصلية الصادرة عن الجامعة الملية الإسلامية، دلهي الجديدة.

٤٣. مجلة (فكر ونظر) الفصلية الصادرة عن الجامعة العالمية، إسلام آباد، باكستان.

٤٤. مجلة (فكر ونظر) الفصلية الصادرة عن جامعة علي كره الإسلامية، علي كره.

٤٥. مجلة (معارف) الشهرية الصادرة عن دار المصنفين، أعظم كره.

الفهارس العامة

فهرس الأعلام

فهرس البلاد والمواضع الشهيرة

فهرس المعاهد والمؤسسات والمكتبات

فهرس الكتب والرسائل

فهرست الأبيات

فهرس إنجازات وانتقادات المؤلف

فهرس المحتويات

THE INDIAN SOURCES OF ISLAMIC SCIENCES

Al Maṣādir al Hindīyah li al ʻUlūm al Islāmiyah

by: Maḥmūd Ḥasan Qayṣar al Amrūhawī

tr. & rev. : Dr. Aurang Zeb Azmi

هل قدمت الهند للحضارة العربية الإسلامية خدمات علمية؟
وإذا قدمت فما مقدار ما ساهمت في هذا التقديم؟ وما فحواه؟

إن للهند حضارة عظيمة وقديمة عرفت على مدى قرون طويلة قبل الفتوح، فلما دخلت الإسلام أثرت في المشاركة بالحركة العلمية.. والعلوم الإسلامية اليوم نتيجة التراث الحضاري للأمم العديدة من الشرق والغرب، وهذا الكتاب يشير إلى حصة الهند منها، وإلى دور تلك البلاد الشاسعة في تقديم علوم مختلفة وآداب عظيمة وثقافة أصيلة، استفاد منها العرب من جملة ما استفادوا من علوم الأمم. ويشير الكتاب كذلك إلى علماء الهند الذين وصل عدد كبير منهم إلى البلاط العباسي.. وقدموا ما لديهم من علوم قيمة، فضلاً عن ترجمة كتب هندية سابقة أفادت العلم والعلماء..

هذا الكتاب أحد الكتب القيمة في موضوعه.

فرات
www.furat.com
موقع عربي رائد لتجارة الكتب والبرامج العربية
Design Behzad Ali Issa

القدس 2009
عاصمة الثقافة العربية
اتحاد الناشرين السوريين

ISBN 978-9933-10-116-9
9 789933 101169